الفصل الثانى

الإطار النظرى

لمحة عن الإختلاف فى علم النحو

الخلاف والمخالفة : كلاهما مصدر للفعل خالف، ويعنى كل منهما المضادة وعدم الموافقة. وقد أستعمل لفظ الخلاف فيما يلى[1]:

1. بمعنى المخالفة فيقال مثلا: وقع خلاف فى هذه المسئلة بين هذا المذهب وذاك أو بين هذا النحوى وذاك. أي: وقع تضاد فى الرأي بينهما فى مسئلة. وقد ينفى هذا الخلاف بقولهم: ولا خلاف فى هذه المسئلة أي: أنها مسئلة متفق عليها بالإجماع.
2. بمعنى الإستثناء من الحكم أو المغايرة له: فيقال مثالا فى معمول إسم الفعل: دراك زيدا، ولا يقال زيدا دراك بخلاف الفعل، إذ يجوز أن يقال فيه: زيدا أدرك[2].
3. بمعنى المعارضة الفردية لحكم عام كما فى قولهم: لا يلى كان وأخواتها معمولات أخبارها، وهذا عند جمهور البصريين خلافا لإبن السراج والفارسى وابن عصفور[3].

وكما قالوا فى إن-بأنها تكون حرف جواب بمعنى نعم خلافا لأبى عبيدة[4].

هذا وقد تعددت المسائل الخلافية التى وقعت بين النحاة والمذاهب حتى إنه ليصعب حصرها فى كل مظانها علما بأن كتبا قد ألفت فى هذه المسائل الخلافية. أشهرها كتاب الإنصاف فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين. ومما لا شك فيه أن الخلافات التى أشرنا إليها سبب كبير فى سعة علم النحو وتعدد مسائله. والإنتصاب[5] بالمخالفة كما يرى الفراء

---

[1]. محمد سمير نجيب اللبدي، معجم المصطلعات النحوية والصرفية(مصر: دار الفرقان ص.77)1985م

[2].بهاء الدين عبدالله،شرح ابن عاقل(جاكرتا: الحرمين دينميكا بركة أوتما،ج 2 ص 237)دون سنة

[3]. الأسمونى،حشية الصبان(بيروت:للطباعة والنشر والتوزيع ج 1 ص 237)=ون سنة

[4]. إبن هشام، مغنى اللبيب (بيروت:دار الفكر ج 1 ص 37)ط5،1975م

[5]. أى: النصب بالخالفة

مسبب عن مخالفة الفعل الثانى للأول فى قولنا لأقتلن الكافر أو يسلم فى كونه لا يشاركه فى المعنى ولا هو معطوف عليه.

جرى الاختلاف مجرى نشأة العرب واختلاطهم بالأعجام وقد يعظم ويتشدد تشددا جعل اللحن أخذ يشيع على ألسنتهم لا سيما بعد فتح الاسلام ونشره. واللحن اصطلاح لتعبير خطاء فى اللغة العربية سواء كان ذلك الخطاء خطاء لعدم الاستخدام قواعد اللغة السليمة أو تعبيرا عربيا متأثرا فى اللغة العجمية أو تعبيرا عجميا يدخل فى اللغة العربية.[6]

أ.مفهوم النحو ومنهج البحث

والنحو فى اللغة هي معان كثيرة، أهمها القصد والجهة "كنحوت نحوالمسجد" والمقدار "كعندي نحو ألف دينار".والمثل والشبه "كسعيد نحو سعيد" (أي مثله أوشبهه) والنحو في اصطلاح العلماء هو قواعد يعرف بها أحوال أواخر الكلمات العربية التي حصلت بتركيب بعضها مع بعض من اعراب وبناء وما يتبعهما.والنحو هو قواعد يعرف بها صيغ الكلمات العربية وأحوالها حين افرادها وحين تركيبها.[7]

كان العرب لعهد الجاهلية تنطق بالسليقة، وتصوغ ألفاظها بموجب "تراعيه من أنفسها، ويتناوله الأخر عن الأول، والصغير عن الكبير من غير أن تحتاج فى ذلك إلى وضع قواعد صناعية. فلما جاء الإسلام واختلطت العرب بالأعاجم لألسنتها اللحن والفساد فاستدعى الحال إلى إستنباط مقاييس من كلامهم يرجع إليها فى ضبط ألفاظ اللغة وأول ما وضع فى ذلك علم النحو، ووضعه أبو الأسود الدؤلى من بنى كنانة. بأمر الأمام على كرم الله وجهه.[8]

والمعروف أن وضع علم النحو فى صدر الأول للأسلام، لأن علم النحو ككل قانون تتطلبه الحوادث وتقتضيه الحاجات، و لم يك قبل الأسلام ما يحمل العرب على النظر إليه، فإنهم فى جاهليتهم غنيون عن تعرفه، لأنهم كانوا ينطقون عن سليقة جبلوا عليها. وقد كان وضعه ونشؤه فى العراق، لأنه على حدود البادية، وملتقى العرب وغيرهم، توطنه الجميع لرخاء فيه، فكان أظهر بلد إنتشر فيه وباء اللحن الداعى إلى وضع النحو.[9]

---

[6]. الجاحظ، أبي عثمان عمرو بن نجر، البيان والتبيين (بيروت: دار الجليل، جـ 2: ص. 70)1990م

7.الها شمي،أحمد.القواعد الأساسية للغة العربية (بيروت: دار الكتب العلمية ص6)1354ه

8.الهاشمي,أحمد.القواعد الأساسية للغة العؤبية(بيروت:دارالكنب العلمية.4)1354ه..

[9]. محمد الطنطاوي, نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة,(دار المعارف ج.3.ص.19_20)1119

كان العرب-قبل الإسلام-يسكنون الجزيرة العربية قبائل حيث كانت منها لغة تخالف وتميز بها عن الأخرى مع قليلة الاتصال بمن حولها وما حولها، وهم يتناسدون قبل بدون النحو.[10] والخلافات بينهم إما فى كلمات أو الحركات. وقد تكون كلمة واحدة لها معان كثيرة لأنها فى القبيلة تستعمل دالا على معنى ولكن قبيلة اخرى تستعملها ليس فى نفس المعنى. وهكذا فى خلاف الحركات، فبعض قد يفتح خروف المضارعة بينما كانت قبيلة بكسرها.

نظرا بأن زمان تطور النحو أربع مراحل، فمنها :

أولا: زمان الوضع والتركيب اللذان يركزان فى البصرة منذ الأول بأبى أسود والخليل. وهناك كثير من العوامل الدافعة إلى العلماء فى هذه المدينة ليعملوه : العامل الدينى، والحكومى العربى، والاجتماعى.

والعامل الدينى: متعلق بإرادة العلماء ومسؤوليتهم تعلقا قويا ليحفظوا القران ويقدمونه للتعبيد عن الخطاء.

والعامل الحكومى العربى: متعلق بوجود إرادة الناس ليقولوا محل اللغة العربية سوط جمعها باللغات الأخرى بجانب وجود الخوف على ضياعها.

وأماالعامل الاجتماعى: متعلق بحاجة المجتمع لتفهيم لغة القران.

ثانيا: زمان التطور. تقع القابلة النحوية فى البصرة والكوفة. ومن أهل النحاة فى هذا الزمان هم: أبو جعفر محمد بن الحسن الرعاس,وأبو عثمان المازين البصرى ويعقوب السكيل الكوفى.

ثالثا: زمان التصيير والتكميل.وولاية علم النحو فى هذا الزمان لا تزال أن تكون فى يد العلماء فى تلك المدينة. وسوى الزاعمين السابقين فهم : المبرد البصرى وثعلب الكوفى.

رابعا: زمان انتشار منتشرا الي أكثر المدائتر. ومنها : بغداد ومصر وسوريا وأندالوسيا. وهذا الانتشار عمله مخرجوا المدارس الموجودة فى البصرة والكوفة.[11]

ويجانب آخر جرى اللحن اللغوى لم يقتصر على أماكن اختلاط العنصر العربى بغير العربى فقط، ولكنه يدخل أيضا باالبادية اللتى كانت بعيدة عن الاختلاط، فنراه يغزو اللسان العربى الفصيح فى بيئته الفصيحة، وهنا يسجل اللغويون أول لحن يسمع فى البادية، يقول الجاحظ.[12]

---

[10] أمين أحمد،ضحي الاسلام(القاهرة:مكتبة النهضة تامصرية ط7/جز2/ص248)1974م.

[11]. Lingua, Jurnal Ilmu Bahasa dan Sastra, vol. 1, no. 2 Desember. 2006

[12]. الجاحظ، أبي عثمان بن نجر،البيان والتبين(بيروت:دار اللجليل ص: 71)1990م

وتزايد كثيرا يوما بعديوم حتى رأى العلماء بأنه بلاء ووباء خطر محدق عند العرب الذى لا بد لهم أن يخلصوا لغاتهم منه.

ومن جانب أخر، هناك أمر يزيد وباء اللحن يشيع على ألسنة العرب وهو كان كثير من أبنائهم ولدوا لأمهاتهم أجنبيات أو أعجم، فكانوا يتأثرون بهن فى نطقهن لبعض الحروف وفى تعبيرهن ببعض الأسباب الأعجمية.[13]

من هنا يخشى علماء العرب من فساد لغتهم حين امتزجوا واختلطوا بالأعجام أو الأجنبيات، مما جعلهم يخرصون على رسم أوضاعها ويسعون حفظ أصل اللغة العربية خوفا عليها من الغناء والذوبان فى اللغات الأعجامية حيث يعرفون بها الصواب من الخطاء فى الكلام. ولذلك، قد ضبطوا ووضعوا القواعد العربية واصطلحوا على تسميتها بعلم النحو. فلذلك، لا شك أننا نستطيع أن نقول مجملا أن ميلادالنحو لأجل إنها تخلص اللغة العربية من اللحن وخشية دخوله وشيوعه فى تلاوة آيات الذكر الحكيم.

وقدتقف الروايات فى الوضع الأول للنحو عند أبى الأسود، غير أنها تعود فتضرب فى السبب الذي جعله يرسمه وفى حاكم البصرة موطنه الذي بعثه على هذا الرسم والأبواب الأولى التى رسمها فيه، فمن قائل إنه سمع قارئا يقرأ آية القرآن الكريمة : "أن الله برئ من المشركين ورسوله" (التوبة : 2) بكسر اللام فى لفظ "رسوله"، وقيل : بل وفد على زياد، فقال له: إنى أرى العرب قد خلطت الأعاجم وتغيرت ألسنتهم، أفتأذن لي أن أضع للعرب كلاما يعرفون به كلامهم.[14]

وقيل: أن رجلا (أبى الأسود) لحن امام زياد أو امام إبنه عبيد الله، فطلب زياد أوإبنه منه أن يرسم للناس العربية. وقيل إنه رسمها حين سمع ابنته تقول: "ما أحسن السماء" وهي لا تريد الاستفهام وإنما تريد التعجب، فقال لها قولى: "ما أحسنَ السماءَ"[15]

كان يقصد بأصول النحو أولا، قواعده الأساسية، ومبادئه الأولية التى تنبنى عليها فروعه العديدة.وما لبث الأصول أن أصبحت فيما تلا من زمن علما مستقلا على نسق أصول الفقه، يبحث فيه عن أدلة النحو من السماع والقياس والإجماع واستصحاب الحال.

وأما الأصول فى النحو فهي:

---

13. الجاحط،البيان والتبين(بيروت:دار الجليل ص72)1990م

14 شوق ضيف،المدارس النحوية(القاهرة:دار المعارف،ط9),الجاحط,البيان والتبين (بيروت:دار الجليل - ص.14)1990م

15.الجاحط،البيان والتبين(بيروت::دار الجليل-15)1990م

1. السماع:

وهو الأصل الأول من أصول الاستدلال النحوية، والأساس الذى بنيت عليه أغلب قواعد النحو.وقد عرفه إبن الأنبارى بقوله:[16](هو الكلام العربى الفصيح، المنقول بالنقل الصحيص،الخارج عن حد القلة إلى حد الكثرة،فخرج عنه-إذًا-ما جاء فى كلام غير العرب من المولدين، وما شذ من كلامهم كالجزم ب-لن والنصب ب- لم . . . الخ)

وأما السماع فهو:

أ. الحديث الشريف: ويقصد به هنا ما نطق به رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمع منه. وهو حرى بأن يستدل به، وتبنى عليه القواعد النحوية، لأن المتلفظ به وهو الرسول، من أفصح قريش وأقومهم سليقة.

ب. كلام العرب: ويقصد به ما سمع من أشعارهم، وأمثالهم، وما جرى فى مخاطبتهم. وهو أهم العناصر التى أستقرئت منها قواعد العربية الكلية، حتى قيل[17] فى تعريف النحو: إنه(علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب)

2. القياس:

ويقصد به فى علم اللغة والنحو أن نجعل كلامنا على مثال ما تكلم به العرب ونطقوا، وأن نحمل كل ما تدعو إليه الحاجة من استعمال جديد أو صيغة جديدة على سمع منهم، وروى عنهم، وعرفناه من طرائقهم فى فنون القول. وقد عرفه العلماء من قدامى النحويين تعريفا قريبا من روح الفقه، فقالوا: هو عبارة عن تقدير الفرع بحكم الأصل، أو هو حمل فرع على أصل بعلة، وإجراء حكم الأصل على الفرع[18]. ومن حدودهم الأخرى التى أوردها، أنه إلحاق الفرع بالأصل بجامع، أو هو اعتبار الشئ بالشئ بجامع.[19] وأما أقسام القياس عند الخليل فهي:قياس الشبه-وقياس الاستئناس- وقياس الافتراض.

3.التعليل:

---

[16].إبن جنى، أبو الفتح.لمع الأدلة.(عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية.ص 81) ط2/1418ه-1997م.

[17]السيوطى،حلال الدين.الأقتراح فى أصول النحو(القاهرة:مكابة الصفاء،ص6)1420ه-199م.

[18]. إبن جنى، أبو الفتح.لمع الأدلة.(عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية.ص 93) ط2/1418ه-1997م.

[19]. إبن جنى، أبو الفتح.لمع الأدلة.(عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية.ص 93) ط2/1418ه-1997م.

كان العرب-قبل شيوع اللحن- يتكلمون بلغتهم سليقة وطبعا لا تعليما وتلقينا حسب قواعد محددة وأصول مقررة، ولكنهم احتاجوا-حينما كثر اللحن وانتشر- إلى استقراء هذه اللغة لضبط القواعد وتحرير الأصول.فصنفوا الظواهر اللغوية المختلفة، وحالات الكلام المتباينة، ووضعوا لها أسماء تعين على توضيحها وتثبيتها في الأذهان. ولما ارتقت العقول بما أتيح لها من الأطلاع على الثقافات الأجنبية الأخرى، أخذ النحاة يبحثون عن علل يفسرون بها تلك الظواهر والحالات.

من أدلة النحو الأخرى التى ذكرتها كتب الأصول: الاجماع واستصحاب الحال. أما الاجماع، فيقصد به إجماع نحاة البلدين البصرة والكوفة. وقد نادى به إبن جنى فى كتابه(الخصائص)[20] وهو دليل أخذ به المتأخرون عن زمن الخليل. وأما الخليل نفسه فلم يأخذ به. وأما استصحاب الحال فقد زاده اين الأنبارى، وعرفه بأنه ابقاء حال اللفظ على ما يستحقه فى الأصل عند عدم دليل النقل عن الأصل[21] ومثاله عنده أن نقول: الأصل فى الأسماء الإعراب، والأصل فى الأفعال البناء حتي يوجد فى الأسماء ما يوجب البناء من شبه الحرف أو تضمن معناه، ويوجد فى الأفعال ما يوجب الاعراب من مضارعة الاسم[22]. ولكنه عاد فقال: إن استصحاب الحال من أضعف الأدلة فى النحو. ولعل هذا السبب هو اللذي صرف الخليل عنه فلم نجد له أثرا عنده[23]

وأما الفروع فى النحو فهي ثلاثة أقسام:

لأول : العوامل والمعمولات.

الثانى : تحليل الأدوات والعبارات.

الثالث : المصطلحات

ب.سبب الخلاف فى علم النحو - فلسفة الخلاف والأمثلة

كان الخليل بن أحمد ألفراهيدى وأبو جعفر الرؤاسى تلميذين لعيسى بن عمر[24] وكانا متحابين وبينهما مودة وأنس، فطلب الخليل من أبى جعفر كاتبه (الفيصل) وقرأه وروى بعض ما

---

[20].ابن جني،الرد علي النحاة(مصر:ط لجنة التأليف والترجمة والنشر ص156)1974م

[21].الأنباري،الأغراب في جدل الأعراب ص46.

[22]. إبن جنى، أبو الفتح.لمع الأدلة.(عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية.ص 141) ط2/1418ه-1997م.

[23].جعفر نايف عبابنة،مكانة الخليل في النحو العربي(عمان:دار الفكر للنشر والتوزيع)دون سنة

24. عيسى بن عمر، عالم بالعربية وانحو والغريب، من الفراء المشهورين أخذ عن ابن أبى إسحاق وأبى عمرو بن العلاء وروي عن الحسن البصري، ورؤية، أخذ عنه يونوس والخليل. قيل أنه كان يدون كل ما يسمعه من العربي توفي سنة 149 ه.

جاء فيه لطلابه ومنهم سيبويه الذى ألف كتابه المشهور فى النحو فيما بعد، تقول بعد المصادر أن سيبويه كلما ذكر "قال الكوفى" إنما يعنى الرؤاسى، فعد بعض المحدثين هذا أول مظهر من مظاهر الخلاف الذى كان يحدث بين العلماء وهناك خلاف يحدث بين أصحاب المذهب الواحد أو المدرسة الواحدة، فسيبويه مثلا له بعض وجهات النظر أو ملاحظات على أستاذيه الخليل ويونس، ولذا نجده يحصر فى كتابه من قوله (زعم الخليل)، (زعم يونوس)، (زعم أبو الخطاب) وإذا جعلنا أن الإختلافات بين نحاة البصرة ونحاة الكوفة تكوّن مدرستين فماذا نطلق على إختلاف نحاة المدرسة الواحدة ويوم أن حدثت تلك المناظرة التى تعرف (بالمسئلة الزنبورية) بين سيبويه والكساء بدأت مناهج البصرة والكوفة تتضح شيئا فشيئا وأخذ كل فارق يتمسك بأراء مدرسته، وما ذهب إليه داسوقى ضيف من أن الأخفش الأوسط فتح أبوب الخلاف أرى أنه قول غير جقيق، لأن الخلاف بين نحاة قديم قدم النحو، وقد اختلف فى تحليد المدة الزمنية التى نشأ فيها[25]، فالمناظرة بين سيبويه والكسائ حدثت قبل أن يلتقى الأخفش بالكسائ فى بغداد. وما كان ذهب الأخفش إلى بغداد إلا لينتصر لأستاذيه سيبويه (فتحرش بالكسائ ووصل بغداد فى الغلس)[26] كما يقول الأستاذ الطنطوى.

و لم تكن تلك المناظرة وراءها عصبية مذهبية.وإنما كان سببها-على ما نظن-التنافس بين العلماء للوصول إلى الرزق والتقرب من السلطان وكسب الحظوة لدى الحكام[27]، و(كافية ابن الحاجب بين رادى وابن مالك-مورنة بين الشرحين) ص. 104 وما حدث فيها كان ناتجة خلاف فى النحو والأسلوب العلمى وما جمعه كل منهما من الإعرابى، فما يهمنا هنا أن ندرك أن الخلافة النحوى الذى بدأ على يدى سيبويه الكسائ كان بريئا من كل تعصب بعيدا عن كل نعرة ظائفية أو سياسية أو حزبية.

ج. عوامل هيأت جوالخلاف ومهدت له

هناك جملة عناصير خلقت جوا صالحا لنمو الخلاف ومن أهمها:

1. موقع المدينتين:

أنشأت البصرة على طرق البالية وأكثر سكانها من العربي الفصحاء مثل قيس وتميم الذين عاشوا الحياة البدوية امادا ظويلة، وبها سوق (المربد) الذى يسمى (عكاظ الإسلام) ففيه

[25]. ينظرالمسئلة الزنبورية وأوليات الخلاف لهانيعبد الكريم عبدالله(صنعاء-مركز التوفيق ص 27-84)1430ه-2009م.
[26]. محمد الطنطاوي نسأة النحووتاريج أشهر النحاة(مصر:دار المغارف ص 88)1119م
[27] ساعد الأفغانى،من تاريج النحو(بيروت:دار الفكر ص 46)1978م

تناشد وتفاخر[28] و لم يمتد إليها نفوذ أجنبى يلين من شكيمته والعرب النازلون إليه لم يعتريهم ما يبدل صلابة عقليتهم العربية.أماموقع الكوفة فهو أدخل فى العراق وأقرب إلى الإختلاط بالأعاجم[29] فقد أنشأت على أنقاض مدينة الحيرة قاعدة من قواعد الفرس، لذا كانت نزعة البصرة فى عمومها تخالف نزعة الكوفة، وبهاذا كان موقع المدينة ذا أثر من أثار الخلاف الذى دبّ بين البلدين.

ويرى بعض الباحثين أن الإختلاط بالأجانب سبب فى نشأة الخلاف، وهذا-كما يبدو لنا-أمر مستبعد قد يكون مثل هذا الإختلاط سببا فى نشوء النحو ولكنه ليس سببا فى الخلاف النحوى لأن غير العربى قد يلحن فى العربية ولكن أن يكون طرفا فى الخلاف. فقد ذكر الجاحظ[30] أن أهل المدينة لمانزل فيهم ناس من أهل الفرس علقوا بألفاظ من ألفاظهم لأن أهل الأمصار يتكلمون لغة النازلة فيهم ولذلك تجد الإختلاف فى ألفاظ من ألفاظ أهل الكوفة والبصرة والشام ومصر[31]

2. الوضع السياسى:

لم نسمع عن خلاف سياسي بين البصرة والكوفة منذ نشأتهما بل كانتا تعيشان كاالبلد الواحد حتى كانت الفتنة الكبرى، فخرج على بن أبى طالب رضى الله عنه إلى الكوفة. وانضم سكان البصرة إلى السيدة عائشة وطلحة والزبير رضى الله عنهم فقامت بين الفريقين موقعة (الجمل) فكانت موقعة بين البلدين سببا فى شدة الخصومة بينهما فهذا أعشى همدان يقول (من الرمال)

أكسع البصري إن لاقيته إنما يكسع من قلّ وذلّ
واجعل الكوفى فى الخيل ولا تجعل البصرى إلا فى النقل
وإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الجمل

والراجح أن هذا الإنقسام كان بسبب السكان وتكوينهم الأمر الذى جعل الدولة العباسية بعد ذاكت تقوم وتعلن من منبر الكوفة، ومن ثم كان نحاة الكوفة فى موطن تبجيل واحترام بينهما لم يتمتع نحاة البصرة بالمعاملة نفسها، فانتصار الكوفة فى بغداد لم يكن

---

[28] سعيد الأفغانى،من تاريج النحو(بيروت:دار الفكر ص. 64)1978م
[29]. سعيد الأفغاني،من تاريج النحو(بيروت:دار الفكر ص 65)1978م
[30]. الجاحط،البيان والتبيين(مصر:دار الجليل ج 1. ص 19)1990م
[31]. الجاحط،البيان والتبين(مصر:دار الجليل ج.1 ص.18)1990م

إنتصارا لمذهبها النحوى على مذهب البصرة وإنما كان نصرا سياسيا سخصيا، أي كان نصرا لعلماء الكوفة لاعلمها[32] وربما كان ألفت فى ذلك ككتاب (فخر أهل الكوفة على أهل البصرة)[33] وهذه كلها إنعكاسات وجدت طريقها فى أساليب المناظرة والتى قد تتقلب إلى حصومة تخرج عن طور الإحترام العلمى، وتلونه بشيئ من العنف حتى يطغى على طبيعة المناظر وكتب الأمالى والمجالس تكشف عن هذه.

3. العصبية:

نجد فى كتب النحو والسير ومجالس النحاة بعضا من نماذجها وهي مظهر من مظاهر الإختلاف السياسي فهذا اليزيدى[34] يمدح البصريين ويذم الكسائ بقوله (من الرجز)

يا طالب النحو ألا فابكه بعد أبى عمرو وحماد
وابن أبى إسحاق فى علمه والزين فى المشهد والمنادى
أما الكسائ فذاك أمرؤ فى النحو حار غير معتاد

بينما يمدح الخليل بن أحمد السجزي (ت-378ه) بقوله[35] (من الطويل):

واجعل فى النحو الكسائ عمدتى ومن بعده الفراء ما عشت سرمدا

وهذا أبو طيب اللغوي (ت-351ه)[36] يقدح فى الكسائ بقوله (وعلمه مخلط بلا حجج ولا علل)[37] بل إنه طعن فى كل الكوفيين بقوله (ولم يكن لجميع الكوفيين عالم بالقران ولا كلام العرب)[38] والرؤاسى – عنده – (مترح العلم ليس بشيئ)[39] وبمثل هذا الغمز على الكوفيين ملأ أبو الطيب اللغوي كتابه (مراتب النحويين). أما عند يذكر البصريين فتشتد عصيبته إليهم يقول: (فأما الذين ذكرنا من علماء البصرة فرؤساء عظام معظمون غير مدافعين فى المصريين جميعا، ولم يكن بالكوفة ولا فى مصر من الأمصار مثل أصغارهم فى العلم

---

[32]. ينظر مزان المبارك،ألرمانى النحوى في ضوء شرحه لكتاب سيبوىه(بيروت:دار الكتاب اللباني ص.28)1973م.
[33]ياقوت الدموي،معجم الأدباء(بيروت: دار الكتب العلمية ج5/ص6-9) ط 1-1411ه-1991م
34. **اليزيدي أبو عبدالله محمد بن العباس ولد سنة 228** إبن جنى، أبو الفتح.لمع الأدلة.(عالم الكتب ومكتبة النهضة العربية.ص 93) ط2/1418ه-1997م.
[35]يقوت الحمومى، معجم الادباء(بيروت دار المشترق.ص77)ج11.1991م.وسعيد الافغانى، تاريخ النحو(ليروت دار الفكر.ص88)1978م.
36. أبو طيب اللغوى: عبد الواحد علي العسكري، ولد فى عسكر مكرم ونسأ فيها، أخذ عن أبى عمر الزاهد، والصولى، له (مرتب النحويين) و (الإبدال) و (سجر الدر) وغيرها
37.أبو الطيب اللغوى،مراتب النحويين(مصر:دار الفكر العربي ص. 120) تحقيق – محمد أبو الفضل إبراهيم دار الفكر العربى، ط. 2- 1394-1974م
[38].أبو الطيب اللغوي،مراتب النحوى(مصر:دار الفكرص 120)
[39] الطيب،مراتب النحوي(مصر:دار الفكر ص 48)

بالعربية)[40] فمثل هذاالتأميم لا يمكن أن يكون الحق معه وفى الكوفة ثلاثة من القراء السبعة[41] أحدهم الكسائ فليس هاهنا من تعليق سوى أن ألعصبية هي التى تكلمت على لسان أبى ألطيب، وينقل ألسيوطى[42] أن الفراء زاعد العصبية على سيبويه وكتابه تحت رأسه.

4. منهجية البحث

كانت الكفة مهتمة بدراسة القرآن الكريم والحديث الشريف بالشعر فقد (هبط في الكوفة ثلثمائة من أصباب الشجرة وسبعون من أهل بدر)[43] إلى جانب ستين شيخا من أصحاب عبد الله بن مسعود. أما البصرة فهي إلى النحو عميل فى محاولة لودع قواعد وظوابط محكمة له بل حاولوا إخضاع القراءات القرأنية لقواعدهم التي استنبطوها يقول د/مهدى المحزومى :(فأهل الكوفة أصحاب فقه وحديث وقراءة, وأهل البصرة أصحاب علوم وفلسفات) [44] ونتيجة لإختلاف منهج البحث تعصب كل فريق لمدرسته (فأخذ يتهم ويضعف علماء المدرسة, وخاصة البصريين الذين كانو يرون أنهم أخذوا اللغة عن العرب الخلص وأن الكوفيين أخذوها عن الأعراب الذى فسدت لغتهم وسليقتهم[45] وهكذا صار الخلاف يتعمق شيئا فشيئا بسبب اختلاف منهج البحث لديهم.

5. اللغة

رقعة العرب الذين جمعت منهم اللغة كانت بالغة الإتساع وتضم قبائل كثيرة منها المجاورة لأمم غير عربية ومنها المجاورة لقبائل عربية مشكوك في فصاحتها، وأدي ذلك إلى اختلاف اللهجات التي جمعها اللغويون واحتج بها النحويون، فعندما يعد أبو عمرو بن العلاء اللغة الفصيحة في عليا هوازن يرها الفرع في اللهجة قريش مثلا فأخذوا بلغة بعض القبائل وتركوا بعضها، والمقياس فى أخذ اللغة كان الفصاحة وفى الرد مجاورة غير العرب والإختلاط بهم (غير أن هذا الصنيع لم يكن يجرى بالدقة العلمية فكثيرا مّانجد النحاة يرون عن العرب كافة بلا

---

[40]. الطيب،مراتب النحوي ص 51)

41. القراء السبعة هم نافع المدني، ت – 169 ه، وابن كاثر المكى، ت – 120ه، وأبو عمرو بن العلاء البصري، ت – 154ه، وعاصم بن أبى النجود الكوفي، ت – 127ه و همزة بن حبيب الكوفي، ت – 156ه والكساء الكوفي، ت – 187ه وعبدالله بن عامر الشامى، ت – 118ه

[42]. جلال الدين السيوطي،بغية الوعاة(بيروت:دار الفكر ج. 2 ص. 237)1964م

43.إبن سعيد،دارالصادرين (ليبنان: الكبري الطبقاة)

[44]. مدرسة في الكوفة دراسة اللغة ونحو د / مهدي المحزومي /66دال العربيالرئط بيروت ط6/1406-1986 م

[45]. دالتاريخيةوقيمتهاالجاهلى الشعرمصادر/الديننناصرمحمد الأسد ص:424دار بمصرالمعارف ط1988/7

تحديد قبيلة[46] فسيبوىه مثلا يميل إلى لغة الحجاز، وينعتها (باللغة الأولى القدم)[47] و(باللغة العربية القديمة الجديدة)[48] وربما لا يحدد قبيلة بعينها ولكنه يقول:(قوم من العرب ترضى عربيتهم)[49]أو (الموثوق بعربيتهم)[50] أو (فصحاء العرب)[51] وأما الفرع فهو أكثر تسامحا فى الأخذ عن العرب فتراه يقول :(والعرب قد تقول)[52] و(كذلك تفعل العرب)[53] وبذلك كانت المادة اللغوية أسسا للخلاف وممهدا له ثما وصل إلى الخليل لم يصل كله إلى الكسائى بل إن اللغة نفسها لم يحصها اللغويين وضاع منها شيء كثير فما وصل إلينا مما قالت العرب إلا أقله وكما يقول الشافعى : لسان العرب أوسع الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا ولا نعلم أنه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبى, والعلم به عند العرب كالعلم بنسبة عند أهل الفقه[54] لقد وفر اللغويون للفصحة ما يمكن توفيره من أسباب الإستمرار والحياة، والنطق فى وصفها من تواتر الناس فى التعامل اليومى بالفصحة فى حياتهم الرسمية والثقافية، والحرص على سماع القرآن الكريم جيلا عن جيل، وضحوا بلهجات فى المواقف العامة والثقفية أوحصروها فى الحياة الخاصة للناس، وحتى اللهجات المتقاربة التى استخلصوا من مجملها قواعد الفصحة فإنهم حرصوا على نمطها الموحد أكثر من حرصهم على أنماطها المتغايرة[55]

ولعل لعامل الزمان دورا فى الخلاف النحوى لأن اللغة كائن حتى يتطور فالشواهد واللغة التى رويت على عهد إمرئ القيس غير التى رويت على عهد جرير والفرزدق أو ابن هرمة لأن تطور وتجديد يفرض أنماطا وأسلوبا وبلاغة وعمقا ومصطلحالم يكن موجودا وأن ماجمعه الخليل ومن قبله قد يختلف عما جمعه الكسائ ومن بعده.

د.العوامل التى ساعدت فى تعميق الخلاف النحوى

---

[46]. الخلاف النحوي دوالكوفيين البصريين بين /خيرمحمد الحلوان ص:62العربي القلمدر بدون سند وبدون طبعة

[47]. سيبوىه،الكتاب(بيروت:دار الفكر العلمية 278/3)دون سنة

[48]. سيبوىه،الكتاب(بيروت:دار الفكر العلمية 473/4)دون سنة

[49]. سيبوىه،الكتاب(بيروت:دار الفكر العلمية 182/1)دون سنة

[50]سيبىوىه،الكتاب(بيروت:دار الفكر العلمية 304/1)دون سنة

[51] سيبوىه،الكتاب(بيروت:دار الفكر العلمية 257/1)دون سنة

[52] الفراء،معاني القران(بيروت:عالم الكتب 62/1) 1403ه-1983م

[53].الفراء،معاني القران(بيروت:عالم الكتب 72/1) 1403ه-1983م

[54].السيوطي،المزهر اللغة العلومي(مصر:دار الكتب العلمية 21/1)دون سنة. والحديث القدمين ونحو اللغة.د/حسن عباس ص39(مصر:دار المعارف)دون سنة

[55]. ينظر(بحوث واللغة الإستسراقفي)د/صعمايرةأحمدإسماعيل:73البشيردار والنشرللطباعة الرسالة مؤسسة

الخلاف النحوى بصفته ظاهرة نحوية لم ينشأ فجأة وإنما بدأ تدريجيا على مراحل ساعدت على نشوئه مؤسرات وعوامل أثرت إيجابيا على النحاة فعمقت الخلاف بين المدرستين تكمن هذه العوامل فى:

1.ترجمة بعض العلوم

دعاء الإسلام إلى العلم واقتضت مقتضات الدعوة إليه ضرورة الترجمة إلى اللغات الأخرى فنشطت حركة الترجمة فى العصر العباسى[56] وترجمة كتب المنطق والفلسفة فأعجب بها الفقهاء والمتكلمون والنحويون، وما يهمنا هو التأثير النحوى بالفلسفة، يقول د- شوقى ضيف (وبذالت نفهم السر فى أن عقل البصرة أدق وأعمق من عقل الكوفة.. إذا سبقتها إلى الإتصال بالثقافات الإجنبية والفكر اليونانى[57].

2.الفقه

غيت الكوفة بالفقه، وغيت البصرت بعلم الكلام، ووجد الإمام أبو حنيفة (ت- 15ه) فى الكوفة حيث أشاع فى الفقه القياس والرأى، وكان الفقهاء والنحاة غير منفصلين، فلفقيه لا بد له أن يكون عالما بالألفاظ ومدلولاتها، وبالنحو والصرف حتى يوجه الكلام بصورة صحيحة، وقد تأثر النحاة بالفقهاء فى تبويب المسائل بمعنى أخر فى اسلوب كتاب الخلاف، فأبو البركات الأنبارى يسأله طلابه أن يؤلف لهم كتابا فى مسائل الخلاف يشمل على مشاهير المسائل الخلافية بين نحوى البصرة والكوفة، على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعى وأبى حنيفة[58]. وقد طبق النحاة على شواهد النحو ما عرف فى الفقه بالرواية والإسناد، وحكموا على بعض الشواهد بالشاذ والقليل والنادر.

3.علم الكلام

ظهر الإعتزال في البصرة على يد واصل بن عطاء (ت- 181ه)[59] فأثر فكرهم فى النحو فتأثروا به تأثرا أخذ جانبا كبيرا من نشاطهم، وما فكرة (العامل) فى النحو إلا وليد فكر الأثر والمؤثر فى الفكر المعتزلى، وقد سمى نحاة البصرة بأهل المنطق، ووصف الفراء بأنه يتفلسف فى

.56 حاجي خليفة،كشف الظنون(استنابول،وبغداد:نسخة مصورة في مكتبة المثني1-34)دون سنة.انظر"شرح المقدمة الكافية في علم الإعراب لإبن جني

[57]. شوقي ضيف،المدارس النحوية (مصر:دار المعارف ص.21)1976م

[58] إبن الأنباري،مقدمة، الإنصاف فى مسائل الخلاف(صيدا-بيروت:المكتبة العصرية 1-5)1407ه-1987م

.59 واصل بن عطاء: أبو حنيفة واصل بن عطاء المعتزل، كان يجلس الى الحسن البصر، فلم ظهر الخلاف وقالت الخوارج بتكفير مرتكب الكبيرة، وقال أنه فى منزلة بين المنزلتين لا مؤمن ولا كافر، عند ئذ طرده الحسن من مجلسه فاعتزل عنه وجلس إليه عمرو بن عبيد، فقيل لهما ولأتباعهما معتزلة، ولد سنة 80ه، وتوفي سنة 181ه.

مؤلفاته[60]، وأطلق على النحاة الذين أمغوا النظر فى تعليل "معتزلة" كارمانى (ت- 354ه) و الفاراسى (ت- 377ه) و الزمخشرى (ت- 538ه).

إن العلوم المترجمة وكذلك الفقه وعلم الكلام ما هي إلا عوامل ساعدت على تقنين النحو وتقعيده ووضع تعليلاته وأقيسته ومن ثم اختلف النحاة فيه، فهذه ثلاثة أسباب أثرت إيجابيا فى النحاة ورسخت ظهور (الخلاف النحوى) ظاهرة بارزة فى الدرس النحوى.

و.فلسفة الخلاف وأسبابه

اللغة العربية كائن حى تنمو كل الكائنات الحية، وقد نشأت وتمت فى أحضان الجزيرة العربية، فهى ظاهرة من ظواهر الأمة العربية، ومقوم من مقوماتها.

وسواء أكانت توقيفية صدرت عن أدم بوحى من الله، لأنه تعالى (علّم الأدم أسماء كلها) أم كانت تلقينية جاءت نتيجة للأصوات المسموعة كدوى الريح، وخرير الماء، وصهيل الفرص، إلى أخر ما قيل فى ذلك، فإنها وجدت التقديس والإحترام الكامل من أهلها.

وهى- كغيرها من اللغات- كأن ينمو وينظر، ولكن تطورها لم يكن محدودا بمحدود مرسومات مقيدة، فالعربى حر فى تعبيره يجول فى كل طريق، وينمو به فى كل اتجاه حسب ما تمليه عليه طبيعة أرضه، وتقاليد قبيلته وعاداتها، وهذا فيه القبيلة، والبيئة التى تأوى إليها، مما جعل المجال يتسع بين علماء النحو، وأعطى رخصة لكل منهم أن يدلى بدلوه، ويجتهد حسب ما يملك من حس لغوى، وقدرة على الإدراك، وتبارت الملكات فى الفهم والتوجيه والإجتهاد، وساعد على ذلك تشجيع الخلفاء وتقديرهم وتقريبهم للعلماء، وتعمدت وضع المشكلات غير مجال المناقسة والإجتهاد بينهم، وقد أدى هذا إلى التعمق، وخلق الأسباب، وابتداع العلل، والإتجاه بالنحو اتجاها فلسفيا يقوم على أسس من التحليل والإستقصاء، وأصبحت التراكيب والتعبيرات مجالا للإجتهاد يحكم فيها علم النحو بحسه وإدراكه، وهذا يفسر لنا عبارة المبرد لتلميذه ابن كيسان (وهذا شيء خطر لى فخالفت النحويين[61].

ولهذا كارت الأراء، وتعدد المذاهب، واتجه العلماء إلى وضع المقاييس والمعالم بطريقة منطقية يحاولون بها أن يقعدوا القواعد، ويرسموا الحدود، وكثيرا ما يخضعون النص بقاعدتهم إذا جاء مخالفا لها، وهذا يدل على مقدار ما وصل إليه التعصب للرأى.

---

[60] إبن النديم،الفهرشت(مصر:مطبعة الرحمانية ص. 96)1348ه.الأفغاني،من تاريخ النحو(بيروت:دار الفكر ص. 44)1978م

[61]. ابن الند يم،،الفهرست(مصر:المطبعة الرحمانية ص.25)1348م

ومن بين الأسباب التى أدّت إلى الخلاف:

أولا: تعدد اللهجات: فالعرب بدو وحضر، والبدو قبائل متفرقة، وكل قبيلة لها عاداتها وتقاليدها، وهذا يدعو إلى اختلاف اللهجات وتعددها، وهذه اللهجات تختلف باختلاف الوطن الذى تعيش فيه القبيلة والبيئة التى تأوى إليها فضلا عن العوامل الإقليمية التى تركت أثرها فى لهجات الشعوب المتعربة على المدى الواسع من مجلس الشرق الأسيوى إلى أقصى الغرب الإفريقى والأندلس، حيث أخذت حريتها فى التعبير بلسانها العربى على سجيتها دون أن تلتزم بقيود.

ولهذا بقيت أثار اختلاف اللهجات فى الكثير من الشواهد النحوية واللغوية، وفى هذا يقول الأستاذ أحمد أمين[62]: "لم تكن هذه القبائل العربية فى درجة واحدة من الفصاحة فقد اشتهر بعضها بأنه أفصح من بعض، ولم تكن فى درجة واحدة من السلمة، فقد سلمت بعض القبائل وحفظت على عربيتها لبعد مكانها عن الإختلاط والفساد، ولذا لما جاء العلماء يروون اللغة تمروا وفضلوا بعضها على بعض، فاستبعد لغة حمير لأنها تكاد تكون لغة وحدها مخالفة للغة المصر، ولأنهم خالطوا الحبشة، وخالطوا اليهود، وخالطوا الفرس فتأشبت[63] لغتهم، ولم يأخذوا عن القبائل التى كانت تسكن التخوم لمجورتهم لمصر والشام وفارس والهند، ولهذا لم يأخذوا عن بنى حنيفة وسكان اليمامة وثقيف وأهل الطائف لمخلطتهم تجار اليمن المقيمقن عندهم، ولم يأخذوا عن الحضريين لفساد لغتهم، وقالوا إن الذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتدى، ومنهم أخذ اللسان العربى من بين قبائل العرب هم قيس وتميم وأسد ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الظائفيين، ولم يؤخذعن غيرهم من سائر قبائلهم".

ثانيا: التعصب للرأى بغاية الإنتصار على الخصم ولو كان هذا التعصب فى غير جانب الصواب، كما حدث فى المناظرة التى كانت بين سيبويه والكسائى فى المسألة الزنبورية.

ثالثا: ما كان بين البصرة والكوفة من صغائن ذات عمق، وذلك حين هبط على- كرم الله وجهه- الكوفة، واتخذها مقرا له، ونزلت أم المؤمنين عائشة البصرة على رأس جيش طليا لثأر

---

[62]. أحمد أمين، ضحي الإسلام (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ج.2 ص.245)1935م

[63]. **خمضت.**

عثمان رضى الله عنه مما أدى إلى نمو العصبية والخلاف فى كل شيء، (وإنما صارت البصرة عثمانية من يوم الجمل إذا قاموا مع عائشة وطلحة والزبير فقاتلهم على بن أبى طالب، وقيل لرجل من أهل البصرة: أتحب عليا؟ قال: كيف أحب رجلا قتل من قومى من لدن كانت الشمس هكذا إلى أن صارت هكذا ثلاثين ألفا)[64].

رابعا: اتقاء شر الشعراء، فبعض النحويين يتحاشون الشعراء خوفا من ألسنتهم فيجاملونهم، ويحتجون بشعرهم ولو خالف ذلك القاعدة العامة.

خامسا: تأثر علماء البصرة[65] بمن وفد عليهم من العرب وبموالى الذين امتزجوا بهم، وتفاعلوا معهم، والذين كان لهم من مواهبهم وعبقرياتهم ما مكنهم من أن يضعوا أسس علوم ما لبثت بعد فترة قصيرة من الزمان أن أصبحت علوما كاملة مستقلة لها مقومات العلم، بل لها تفريعات العلم الدقيقة، وافتراضاته البعيدة التى يمكن أن توصف بأنها تعسفية، التى دفعهم إليها إطلاعهم على ما ترجم من منطق وفلسفة أثرا فى تفكيرهم، ولحوا منحى فيه شيء من التعقيد، ولعل علم العروض وعلم النحو، والطريقة الدقيقة التى اتبعها القليل فى حصر كلمات اللغة العربية واستقصائها ووضع معجم يضمها وفقا لمخارج حروفها خير شاهد على ذلك.

سادسا: الناحية[66] فأكثر أهل الكوفة اليمانيين، وأكثر أهل البصرة من المغربيين.

سابعا: الإلتجاهات العلمية، فاتجاه أهل الكوفة إلى القرآن والتفسير والفقه، واتجاه أهل البصرة إلى الفلسفة والمنطيق، فأهل الكوفة أصحاب فقه وحديث وقراءة، وأهل البصرة أصحاب علوم وفلسفة، لأنهم أكثر إخطلات بالأجانس الأجنبية من أهل الكوفة، وأكثر حرية فى اعتناق المذاهب المختلفة، وأسرع إلى الأخذ بالثقافات الأجنبية لتوفر مصادرها عندهم وكثرة انتقالاتهم للكسب والتجارة[67].

هذه أسباب على التمثيل- لا على سبيل الحصر- لأن النص العربى والقرءاة القرآنية، واختلاف الروايات التى يروى بها الشعر والنثر، واتساع المجال أمام الشعراء باختلاف لهجاتهم وعاداتهم وتقاليدهم، وافتراض النحاة الفصاحة فى كل عربى جاهلى أو إسلامى، كما أننا كثيرامّا

---

[64].عبد الرحمن،مدرسة البصرة(القاهرة- مطابع سجل العرب،ص،35)1968م
[65]. عبد الرحمن،مدرسة البصرة(القاهرة-مطابع سجل العرب،ص 33)1968م
[66]. مهدي المحزومي،مدرسة الكوفة(مصر:مطبعة البابي الحلبي ص.66)1958م
[67]. المحزومي،مدرسة الكوفة(مصر:مطبعة البابي الحلبي ص 66)1958م

نجد شاعرا تضطره القيود إلى ارتجال كلمات لا وجود لها فى لغة العرب، كما أن اللغة فى تطور مستمر فلم تكن مستقرة الوضوع فى الجاهلية، كل هذه أسباب تضاف إلى ما سبق.

كما: (إن انصراف النحاة عن العامل الزمنى فى الإحتجاج كان سببا من أسباب الخلاف أيضا، فقد عمل التطور اللغوى فى الحقبة التى سبقت الدراسات النحوية صيغا وكلمات نحجرت مع الزمن زالت منها أصوات، وأضيفت إليها أخرى كأسماء الأفعال وأسماء الأصوات، والأفعال الجامدة من نحو: بئس. ونعم، وجبذا، وليس، وكثير من ضروب هذه الكلمات التى تمثل مرحلة تطورية قديمة، وقد حار النحاة فيها لأنها لا تطرد مع قواعدهم، فبدل أن يجدوا لها حالا واقعيا يشير إلى ما مسها من تطور مضوا يخضعونها لتلك القواعد المرسومة، ويتأولون لها بعيدة أصابوا فى بعضها وأخطؤوا فى بعضها الأخر، فلا عجب أن نجد هذه الكلمات تثير بينهم جدلا طويلا).

وهذه الإشارة تكفينا للدلالة على أن هذه الألفاظ الصحيحة التى تمثل مرحلة تطورية تعود إلى زمن غير محدد المعالم كانت من أسباب الخلاف بين النحاة جميعا.

ز.مناهج مدرسة البصرة فى دراسة النحو

يحتاج لنا أن نعرف مناهج مدرسة البصرة بالتفصيل فى استنباط الحكم النحوى وإثبات قواعده. وأتحدث فى هذا المبحث عن مجموعة من المناهج التى استخدمها رجال مدرسة البصرة

1-المنهج السماعي (The Traditional Method)

وكان السماع أصل من أصول القواعد النحوية, فلا يضع تلميذ الخليل سيبويه قاعدة أوحكما نحويا إلا يروى معهما سيلا من كلام العرب وأمثالهم. وكان الخليل لا يلقى أي حكم نحوى إلا يلقى معه برهان من كلام العرب الموثوق به وأشعارهم, لأن الشواهد مدار القاعدة النحوية.[68] وكذلك، يجرى سيبويه وابن أبي إسحاق وعيسى بن عمر فى السامع.ونقلوا عن القراء والعرب الذين يوثق بفصاحتهم.[69]

2-المنهج الاستقرائ(The Inductife Method)

وهو المنهج الصحيح الذي يتسم بالتسامح ويبدأ من حيث يجب البدء من المفردات إلى الملاحظة الشاملة. وهو تعبير عما استقرئ وما يمكن أن يستقرأ.[70]

68. شوقي ضيف,المدارس النحوية(مصر:مطبعة دار المعارف 47)1968م
69.ضيف،المدارس النحوية(مصر:مطبعة دار المعارف80)1968م
70. محمد عيد,أصول النحو العربي في نظر النحاة ورأى ابن مضاء وضوء علم اللغة, (القاهرة:عالم الكتب,1989).99-100

وكان أبو عمروبن العلاء ممن اعتمد على الاستقراء من المدرسة البصرية حيث اعتمد على وعى عميق للواقع اللغوي فى عصره. وأن النصوص اللغوية التي يستقرئها عنده لا يمكن أن تمتثل لغة العرب كلها.[71] كما حكى أبو بكر عن أبى خليفة,قال:قال يونس بن حبيب : قال أبو عمرو بن العلاء:(ما أنهى إليكم مماقالت العربية إلا أقله، ولو جاءكم وافرا لجاءكم علم وشعر كثيرا)[72]

ولا ينحصر اعتماد أبى عمرو على وعى للواقع اللغوي فحسب، بل على وعى بالفروق اللغوية وتفاوتها فى مناطق الجزيرة. وقرب استقراءه من الكمال.

وفى بعض أخباره نحس أن استقراءه للغة قريب من الكمال، إن لم يكن كاملا. قال يونس : (كلان ابو عمر يقول فى واحد (الهدي) هدية, تقديرها : جدية السرج، والجمع الجدى، مخفف. قال أوعمرو: ولا اعلم حرفا يشبهه.)

وسواء استدركوا عليه مثال (جدية) أم لم يستدركوا فإن استقراء أبى عمرو فتح أبوابا واسعة امام تلامذته وخالفه)[73]

3.المنهج القياسي (The Analogy Method)

إن القياس الذي وضعه أبو الأسود ثم جرده عبدالله بن أبى إسحاق الحضرمى أصل من أصول الدراسة النحوية التى تبنى عليها القواعد ويزان بها الكلام. وقال الأنبارى : (إعلم أن إنكار القياس فى النحو لا يتحقق, لأن النحو كله قياس، فمن أنكر القياس فقد أنكر النحو ولا يعلم أحد من العلماء أنكره)[74] وقد أهدى النحاة بالقياس كثيرا من الاستعمالات التى كان ينطق بها العرب فى نظير وضع قواعد النحو الكلية. واحترموها احتراما شديدا وخضع الناس لها.[75]

ومن البديهى أن قياس الحضرمى قياس الفطرة والطبعة، وليس بقياس المنطق والجدل. ولم يتأثر بمنطق أرسطو، لأن العرب لم يعرفوه إذ ذاك، وتوفى الحضرمى سنة 117ه قبل أن يعرف العرب منطق أرسطو.[76] وجاء عهد أبى عمر بن العلاء اتخذ القياس

71 الحلواني,المفصل، تاريخ النحو العربي(موئسسة الرسالة ج1/,187)1399ه-1979م
72أبي الفتح عثمان بن جني, الخصائص, (مصر : المكتب العلمية, مجهول السنة)ج.187.1.
73. الحلواني,المفصل في تاريخ النحو(موئسسة الرسالة .....,188-189)1399ه-1979م
74 أحمد أمين,ضحي الاسلام(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر الجزء الثاني)1935م
75. أحمد أمين,ضحي الاسلام(مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر 300)1935م
76. شوقي ضيف,المدارس النحوية (مضر:دار المعارف,254-255)1976م

شكل القياس الفقهى أو الكلامى. ولكن قال المخزومى إن القياس ظهر فى عهد عيسى بن عمر الثقفى وعبد الله بن أبى إسحاق الحضرمى أشد قياس من غيره. وكان القياس أداة لصنع قواعد النحو، وأصلا من أصوله.

ولا بد أن يذكر هنا أن فى القياس النحوى أركانا، ومن أهمها العلة، لأنها حلقة الوصول بين اللأصل (المقيس) والفرع (المقيس عليه) بيد أن من أكثر العلل التى وردت فى كتاب سيبويه هي علة الضرورة الشعرية. وأما بالنسبة إلى وظيفة القياس نفسه، فله ثلاث وظيفات : (1) استنباط القاعدة أوالحكام (2) وتعليل ظاهرة (3) ورفض ظاهرة[77]

4-المنهج التأويلي (The Interpreatif Method)

وهو لغة التدبير والتقدير والتفسير، وأما معناه المناسب فى فن النحو-نقلا عن قول محمد عيد- فهو صرف الكلام عن ظاهرة إلى وجوه خفية تحتاج لتقدير، وأن النحاة قد أولوا الكلام وصرفوه عن ظاهرة لكى يوافق قوانين النحو وأحكامه.[78]

وقد استخدمه رجال مدرسة البصرة فى تكوين القواعد النحوية، وظهر جليا فى معظم ما أوله يونس من ظواهر اللغة. وقد يكون التأويل ينعطف ليكون تفسيرا أوتوضيحا لظاهرة صحيحة فى اللغة. ومثال ذلك: - سأل سيبويه الخليل عن إعراب (البائس) فى قول قائل: (مررت به البائسُ أو البائسِ) وأجاز الخليل وجهين : أجاز الرفع على تقدير عامل يرفعه كالابتداء، والجر على البدل من الضمير.

كان الخليل يقول: إنشئت رفعته من وجهين فقلت : مررت به البائسُ، كأنه لما قال مررت به قال المسكينُ هو. كما يقول مبتدئا المسكينُ هو، والبائس هو، والبائس أنت. وإنشاءٌ قال: مررت به المسكين هو, والبائس أنت، إنشاء قال: مررت به المسكينَ، كما قال: (بنا تميما يُكشف الضباب) .... وفيه معنى الترحم كما كان فى قوله : رحمة الله عليه معنى رحمه الله.[79]

وأصبح التأويل أسلوبا منهجيا فى دراسة ظواهر اللغة عند الخليل، ويرجع فى أساسه إلى الروية اللغوية العامة عند نحاة العرب.

77. الحلواني, المفصل في تاريخ النحو...., (سورية: جامعة تسرين,1978),92
78. ابن السراج, أصول النحو العربي(موئسسة الرسالة,157)ط3/1996م
79. سيبويه, الكتاب(مصر:دار الفلم ص75-76)1385ه-1966م.

5-المنهج التعليل (The Explanatary Method)

واتضح أن المنهج التعليل دعامة المنهج القياسى. ونشأة القياس أول ما نشأ فطريا وتبعت نشأة العلة له كذلك. وأول من علل النحو فهو الحضرمى[80] واستقرت وأتت كلها على يد الخليل وسيبويه. واعتمد الخليل كل الاعتماد على التعليل حينما وضع القواعد النحوية التى سجلها تلميذه سيبويه فى الكتاب الشهير بكتاب سيبويه بعده. وإذا, وجدنا الكثير من التعليلات النحوية فى كتاب سيبويه، ويمكن أن يقال أن كتاب سيبويه كتاب علل التى أوردها النحاة بعده كان الأول كتاب سيبويه.

وعلى أية حالة، أن مدرسة البصرة اعتمدت فى تأصيلها لقواعد النحو وإقامة بيانها على منهجى السماع والقياس ولكن منهج مدرسة البصرة لا ينحصر عليهما فقط، بل اعتمدت أيضا على التعليل النحوى.

وكان استخدام هذا المنهج فى دراسة النحو العربى متأثرا بمنهج الفقه الاسلامى- ولاسيما عند حماد بن سليمان-الذي سبق نشأته بالنسبة على نشأة النحو العربى وظن بعض المؤرخين أن التعليل النحوى متأثرا أيضا بمنطق أرسطوطاليس Aristoteles

ولما ستخالطت الثقافة الأجنبية بالثقافة العربية، وترجم منطق أرسطو تأثر النحاة بمبدأ العلة التى كثيراما كان يعتمد عليها أرسطو, وحالوا لكل حكم علة، ولكل قاعدة علة ولا عجب فإن هذه النظرة إلى العلة وإقحامها فى كل ضروب الكلام وفى كل أسلوب من أسلوب العربية جدير بأن ينوّع العلل عندهم ويجعلها كثيرة الأقسام متعددة الفروع[81]

1.الخليل: حياته ونشاطه العلمي ومنهجه استقراء وقياسا

أ.حيات الخليل وشخصيته:

أغفلت المصادر القديمة التى تحدثت عن الخليل دكر شيء عن طفولته. وكـــأن انبهارها به كبيرا، وعالما مشهورا، أنشاها طفولته وما كان من أمرها، فراحت تتحدث عن عبقريته

80. أبو البركات عبدالرحمن بن أبي الوفاء محمد بن أبي سعيد الأنبري, نزهة الألباء في طبقة الأدباء, (الزرقاء: مكتبة المنار,الطبعة الثالثة,1985),27.

81. عبد العال سالم مكروم, المدارس النحوية في مصر والشام في القرنين السابع والثامن من الهجرة, (الكويت: مؤسسة الرسالة,الطبعة الثانية,1990)263

وعلمه، وأفاظت فى ذلك حتى أصاب حياته الخاصة من الحيف ما أصاب طفولته، فلم نظفر إلا بقدر يسير عنها. من ذلك أنه كان عربيا خالصا من قبيلة الأزد اليمانية، وأن والده كان أول من سمى بأحمد بعد نبى محمد صلى الله عليه وسلم وأنه تزوج وأنجب أولادا، وأنه عاش أربعة وسبعين عاما[82]. ولو أخذنا بالرواية التى تقول أنه ولد عام مائة للهجرة[83]، لكانت وفاته عام أربعة وسبعين ومائة[84]. ويبدو أنه لم يبرح البصرة إلا للحج أو الغزو[85]، أو مشافهة الأعراب فى الجزيرة وقد غادرها مرة-فيما يظهر-لزيارة تلميذه الليث بن المظفر فى خراسان[86].

ومن صفات الخليل التى ذكرت، وأسعفتنا فى تحديد جوانب شخصية، أنه كان تقيا، ورعا، زاهدا، متقشفا، لم يشغله من هموم الدنيا شيئ، ولم تدفع دوافع الطمع وحوافز المادة إلى طلب القرب من ذوي الشأن وأصحاب المكانة، بل كثيرا ما رفض عروضهم، حفاظا على كرامته، وصونا لعلمه، ولم يكن يجاوز همه باب بيته، كما قال عن نفسه[87]، على حين أكل الناس وشربوا بما فاضا من ذهنه، وبقي هو فقيرا، يقيم فى خص من أخصاص البصرة، ويعيش من بستان تركه له والده.

وكان أشعث الرأس، شاحب اللون، قشف الهيئة، متخرق الثياب، متفلع[88] القدمين[89]. وما ذلك إلا لما ارتضاه لنفسه من العيشة البسيطة الفقيرة، وانشغاله بالعلم، وانقطاعه إليه، مما أذهله عن نفسه، فقد روى[90] أنه كان يخرج من مترله، فلا يشعر إلا وهو فى الصحراء، ولم يردها، لشغله بالفكر.

وكان الخليل على جانب عال من الذكاء. وقد بهر الأقدمون أمام عبقريته وذكائه، وعبروا عن ذلك بصور مختلفة. ومما قالوه فى هذا الشأن: (إلا يجوز الصراط بعد الأنبياء والصحابة أدق ذهنا من الخليل)[91]. وقيل: (لم يكن بعد الصحابة أذكى من الخليل ولا أجمع لعلم

---

82. الزبيدي،طبقات النحويين واللغويين(القاهرة:دار العلم ص: 47)1954م. وينظر (الفهرست) ص: 64
83. القفطني،انباه الرواة(مصر:مطبعة دار الكتب المصرية،ج1، ص: 34)1950م
84. جعفر نايف عبابنة. "مكانت الخليل بن أحمد فى النحو العربي" 1984 م، ص. 23
85. ذكرت معظم المصادر التى ترجمة للخليل، مثل: "مراتب النحويين" ص. 30، أنه كان يحج عاما ويغزو عاما حتى جاءت الموت، ولكها أبقت الأمر غامضا، فلم توضحه أو تفصل فيه.
86وابن المعتز،طبقات الشعراء، تحقيق عبد الستار أحمد فراج(مطبعة دار المعارف، 96)1968م وينظر(الفهرست)64.
87. ابن خلكان،وفيات الأعيان(مطبعة السعادة ج. 2، ص. 16)1948م
88. **متفلع، متشقق** (لسان العرب، مادة: فلع).
89. وردت هذه الأوصاف فى (شرح المقامات الحريرية) للشريشي،(القاهرة: المطبعة الخيرية، ج. 2، ص. 213)1306ه
90. التشريشي،شرح المقامات الحريرية(القاهرة: المطبعة الخيرية ج2/ص213)1306ه
91. التشريشي،شرح المقامات الحريرة(القاهرة:المطبعة الخيرية ص: 212)1306ه

العرب)[92]. وقد إجتمع بمكة مرة أدباء كل قطر بتذاكروا، وتفاخروا، ولم ذكر إسم الخليل أجمع على أنه (كى العرب، ومفتاح العلوم ومصرفها)[93].

وقد ساقوا من أمثله ذكائه ما يشبه الأساطير، إذا رووا[94] أن أحد الأطباء مات، وكان يعمل دواء للعيون لم يكن يعرفه غيره، فعاين الخليل بعد موته الأدوات التى كان يستعملها، واستطاع بمعاينتها أن يعرف خمسة عشر عنصرا من عناصره التى يتركب منها، وحينما عثروا على دفاتره، وجدوا أنه لم يفته منها سوى واحد. ورووا أيضا[95] أنه ورد إليه كتابا من ملك اليونان استطاع أن يلى حروفه، ويعرف مضمونه دون معرفة سابقة باليونانية. وقريب من هذا، زغم يونس بن حبيب أن الخليل كان يستدل بالعربية على سائر اللغات ذكاء منه وفطنة[96] ومن دلائل ذكائه الأخرى عندهم أنه كان يلغز، وقد صنف فى الغاز كتابا "المعنى". وأهم من ذلك كله ما نسبوه إليه من أوليات كثيرة سنشير إلى بعضها فيما يلى من حديث.

وكان الخليل عالما، يساعد ذكاء عجيب، وانقطع تام إلى العلم، وتسعفه ثقافة واسعة متنوعة، وتهيمن عليه تقاليد العلماء الحقة فيما يقول أو يفعله: فلم يكن يجيب إلا بعد روية، ولم يكن يدعى أن ما أتىبه هو القول النهائى، أو يتعرض لغير من العلماء بسوء[97].

ب.ثقافة الخليل ونشاطه العلمي:

كانت البصرة فى تلك الفترة التي عاش فيها الخليل، موطنا لثقافات وعلوم متعددة الأنواع، بعضها عربى أصيل وبعضها دخيل جاءها عن طريق الأقوام والشعوب الأخرى. وبدأت الترجمة فى ذالك الحين تؤتى ثمارها وتكشف النقاب عن كنوز الفرس والهنود واليونان.

وقف الخليل أمام هذه الينابيع وأحب أن يرتوى منها جميعا. وطبيعى أنه اتجه أوّلا إلى العلوم الدينية العربية كالقراءة والحديث، فروى الحروف عن عاصم بن أبى النجود، وعبدالله بن كثير. وروى عنه بكّار بن عبدالله العودى[98]. وقد تفرد الخليل بنقل قراءة ابن كثير (غير المغضوب عليهم) بالصب[99].

---

92. القفطي،انباه الرواة(بيرت:مؤسسة الكتب الثقافة،القاهرة:دار الفكر العربي)ج.1، ص:345)1406ه-1975م
93. أبو الطيب اللغوي،مراتب النحويين(مصر:دار النهضة للطبع والنشر ص: 29)دون سنة
94. جلال الدين السيوطي،بغية الوعاة(مطبع السعادة، ص: 244)1326ه
95. الزبيدي،طبقات النحويين واللغويين(القاهرة:الطبعة الأولي ص: 47)1954م
96. إبن المعتز،طبقات الشعراء(مصر:مطبعة دار المغارف ص: 96)1928م
97. **كان الخليل أيضا شاعرا مفلقا وأديبا بارعا (طبقات الشعراء) ص: 96**
98. إبن الجزري،غاية النهاية فى طبقات القراءة (القاهرة:نشر مكتبة المتنبي جـ 1 ص: 275)دون سنة
99. إبن الجوري،غاية النهاية في طبقات القراءة،المرجع السا بق

وروى الحديث عن عاصم الأحول، وعثمان بن حاضر عن ابن عباس، وعن العوّام بن حوشب، وغالب القطان، وأيوب السختيانى. ويظهر أنه كان لأيوب السختيانى أثر كبير فيه، فهو الذي أقنعه بترك عقيدة الأباضية[100] التى قيل إنه اعتنقها، والعودة إلى مذهب أهل السنة، فبقى لعيه طيلة عمرو[101]. ويأيد رأينا هذا قول تلميذه النضر بن شميل: (ما رأيت رجلا أعلم بالسنة بعد ابن عون من الخليل بن أحمد[102]، وقول غيره: (ان أهل العربية كلهم أصحاب أهواء إلا أربعة فإنهم كانوا أصماب سنّن: أبو عمرو بن العلاء، والخليل بن أحمد، ويونس بن حبيب البصرى، والأصعمي)[103]. وقد روى الحديث عنه النضر بن شميل، والأصعمي، وعلى بن نصر، ووهب بن جرير، وحماد بن زيد، وأيوب بن المتوكل، وهرون بن موسى النحوى، وداود وهذاب إبنا المحبّر وغيرهم[104]

وقد دعم ذلك بثقافة لغوية ونحوية واسعة، فأخذ اللغة والشعر عن أستاذيه عيسى بن عمر وأبى عمرو بن العلاء، وعن جماعة من ثقات الأعراب وعلمائهم، مثل أبى مهدية، وأبى طفيلة، وأبى البيداء، وأبى خيرة أياد بن لقيط، وأبى مالك عمرو بن كركرة، وأبى الدقيش[105]. ولم يكتف بما أخذه عنهم بل شد الرجل إلى باطن الجزيرة العربية ليأخذ اللغة من أفواه الرجل فى بوادى نجد وتهامة والحجاز[106]. وقد استوعب منها الكثير حتى قيل: إنه كان يحفظ نصف اللغة[107]. وهو أول من صنف فى جمع اللغة[108]، وألف في ذلك كتاب العين المشهور الذي سنتحدس عنه بعد قليل.

وجلس الخليل فى النحو إلى أبى عمرو بن العلاء وعيسى بن عمر[109]، فأتيح له أن يكف على منهجيهما المختلفين مما ساعده على اختيار مذهب نحوى خاص به.

---

[100]. الإباضية فرقة من الحوارج ينسبون إلى عبد الله بن إباض.

[101] **ذهب مهدي المحزوني في كتابه(الخليل بن أحمد الفراهيدي أعماله ومنهجه) مطبعة الزهراء بغداد 1960م إلي أن الخليل يتسع وأنه كان شريعة جعفر بن محمد.**

[102]. إبن الأنبري، نزهة الألباء(مطبعة المداني ص: 47)1967م

[103]. إبن الأنبري،نزهة الألباء(مطبعة المداني ص: 27)1967م

104. ينظر **(تهذيب الأسماء واللغات)** للنحوي، إدارة الطباعة المنيرية، القاهرة، قسم 1، جـ 1، ص: 178، و **(تهذيب التهذيب)** لابن حجر، مطبعة داءرة المعارف النظامية، الدكن، 1325 هـ، جـ 3، ص: 163 و **(خلاصة تدهيب الكمال فى أسماء الرجال)** لصفي الدين الخزرجي، المطبعة الخرية، القاهرة، 1322 هـ ص: 91، و **(كتاب الأنساب)** للسمعاني ورقة: 421، وفيه أنه كان يروي المقاطيع.

[105]. أبو الطيب اللغوي،مراتب النحويين(مصر:مطبعة نهضة ص: 39-40)1955م

[106]. إبن الأنبري،نزهة الألباء(مصر:مطبعة المداني ص: 69)1967م

[107]. السيرافي،أخبارالنحويين البصريين(مصر:مطبعة مصطفي البابي الحلبي وأولاده ص: 41)1955م

[108].السيوطي،المزهر، تحقيق محمد أحمد جاد المولى وزميليه، (مصر:دار الكتب العلمية، جـ 1 ص: 76)1958م

[109]. إبن الأنبري،نزهة الألباء(مصر:مطبعة المداني ص: 25-27)1967م

وقد أمّه التلاميذ وعلى رأسهم سيبوى_____ه، وعلى بن نصر، والنضر بن شميل، زمؤّرج السدوسي[110]، يأخذون عنه اللغة والنحو. وكان سيبوى_____ه ألمع تلاميذه وأحبهم إليه.

ولم يؤلف الخليل فى النحو كتابا، وكأنه اكتف بحفظ تلاميذه وما ورّثهم إياه منه. وقد امتلأ كتابا تلميذه سيبوى_____ه بآراءهم، حتى قال القدماء: عقد سيبوى_____ه أبواب كتاب بلفظه ولفظ الخليل[111]. وقالو: عامّة الحكاية فى الكتاب عن الخليل، وكلما قال سيبوى_____ه: سألت أو قال، من غير نسبة، فهو يعنى الخليل[112]. ومن قولهم فى ذلك أيضا: الأصول والمسائل فى الكتاب للخليل[113]. وقد قيل ليونس بن حبيب مرة: (إن سيبوى_____ه ألّف كتابا من ألف ورقة فى العلم الخليل) فقال: (ومتى سمع سيبوى_____ه من الخليل هذا كله؟ جيئونى بكتابه). فلم نظر فيه قال: (يجب أن يكون هذا الرجل قد صدق عن الخليل فيما حكاه، كما صدق فيها حكى عنى)[114].

وقد أحصى أحد الباحثين[115] عدد المرّات التى أشار فيها سيبوى_____ه إلى الخليل، فوجدها اثنتين وعشرين وخمسمائة مرة. وفى ظننا أن آراء الخليل في الكتاب أكثر من هذا وأوسع، ولكننا لن نأخذ إلا بما نص صراحة على أنه من قول الخليل نفسه.

وقد ذكر سيبوى_____ه للخليل قدرا هائلا من الآراء الصرفية، مما يرجع لدينا أنه أول من تكلم فى الصرف بمسائله المتفرعة، وأول من عمل الميزان الصرفى المعروف، إذ لا نجد نعد النحاة قبله ما يصلح للاعتقاد بأنه سبق إلى شيء ذى بال من مباحث الصرف. ولعل سبق فى هذا أيضا معاذا الهرّاء (187ه) شيخ الكوفة الذي نسبت إليه أولية علم الصرف.

واحتوى كتاب سيبوى_____ه-عدا ذلك-على أبحاث صوتية وفيرة له، مما حقّ معه القول: إنه أول من وضع أصول علم الأصوات فى العربية[116].

---

110. السيرافي،أخبار النحويين البصريين(مصر:مطبعة مصطفي البابي الحلبي ص،37-38) 1374ه-1990م وأبن الأنباري،نزهة الألباء(مثر:مكتبة المنان ص: 46)ط3/1405ه-1985م

111. أبو الطيب اللغوي،مراتب النحويين(مصر:مطبعة نهضة ص: 65)1955م

112. السيرافي،أخبار النحويين البصريين(مصر:مطبعة مصطفي البابي الباني ص: 31)1373ه-1990م

113. إبن النديم،الفهرست(مصر:المطبعة الرحمانية ص: 76)1348ه

114. الزبيدي،طبقات النحويين و اللغويين(القاهرة:الطبعة الألي ص: 49)1954م

115. علي النجدي ناصف في كتابه سيبوى_ه إمام النحاة(القاهرة:عالم الكتب ص: 89)1979م

116. رمضان عبد التواب،التطور النحوي للغة العربية(لبرجشتراسر،القاهرة- مطبعة السماح، ص: 5)1929م

وكانت للخليل معرفة بالموسيقى والإيقاع والنغم. ومعرفة بها هي التي أدّة إلى ابتداع العروض من غير سابقة له. وقد تنّبه إلى هذا بعض القدماء[117] ونصوا عليه، مما يضعف القول بأنه اكتشف علم العروض إلهاما من الله، ‘و أنه اخترعه مصادفة من ممرّ له بلفّارين[118]. وعلم الموسيقى-على ما هو معروف-وثيق الصلة بالحساب. ويشهد لذالك الطريقة التي نهجها الخليل في العروض، وهي طريقة قريبة من نظرية التباديل والتوافيق الرياضية[119]، إذ بناه على أساس التفاعيل التى أدارها فى دوائر خمس، فحصل من ذلك على كل الأوزان العربية الممكنة مستعملها ومهملها. وقد نبه على المستعمل منها، ووضع لها أسماءها المشهورة إلى اليوم[120].

ولا بد أنه ألّم إلماما كافيا بعلم المنطق، إذ كان المنطق شائعا فى بيئات المتكلمين أن ذلك، وكان هو نفسه ممن خاض فى الكلام والجدل[121]، كما كان صديقا لابن المقفع الذي قيل إنه ترجم منطق أرسطو من الفارسية إلى العربية[122]. ومما يدل على أن عقليته قد أشربت ثقافة منطقية متينة، مباحثه العظيمة، وغيصه فى كل علم تناوله إلى أصوله أصوله العامة وثضاياه الكبرى، ووقوعه فيه على نهج قويم فريد فى بابه.

وقد جمع الخليل إلى هذا معرفة بفنون أخرى من العلم كانت معروفة فى زمنه، فقد نقل عنه أنه قال: العلوم أربعة: فعلم له أصل وفرع، و علم له أصل ولا فرع له، وعلم له فرع ولا أصل له، وعلم لا أصل له ولا فرع. فأم الدي له أصل وفرع، فالحساب ليس بين أحد من المخلوقين فيه خلاف. وأما الذي له أصل ولا فرع له، فالنجوم ليس لها حقيقة يبلغ تأثيرها فى العالم-يعنى الحكام والقضايا على الحقيقة-وأما الذي له فرع ولا أصل له، فالطب أهله منه على التجارب إلى يوم القيامة. والعلم الذي لا أصل له ولا فرع، فالجدل[123].وقد فسرت عبارته الأخيرة بأنه يعنى الجدل باباطل. وقوله السابق كاف للدلالة على معرفته الأكيد بالحساب والفلك، والجدل والطب. إلا أن الحساب كان أبرز ما ألّم به منها، يدلّ على ذلك ثقافته الموسيقية، والطريقة التى اتبعها فى العروض وكتاب العين، ومعرفته أنواع اللعب التي لها

---

117. القفطي،انباه الرواة(مصر:مخطوطة بدار الكتب جـ 1، ص: 343)دون سنة، وانظر في(وفيات الأعيان)لإبن خلكان جـ 2، ص: 15

118. **الصفارون: صانعو أواني النحاس (لسان العرب، مادة: صفر)**

119. شوق ضيف،المدارس النحوية(مطبعة دار المعارف ص: 31)1968م

120. ما عدا بحرا واحدا زاده الأخفش الأوسط وسمّاه الخبب (وفيات الأعيان) جـ 2 ص: 15)

121. (التنبيه على حدوس التصحيف) لحمزة بن الحسان الأصفهاني، مخطوطة مصورة بدارا الكتب برقم 896 أدب تيمور، ص: 123

122. ينظر (طبقات النحويين واللغويين) ص: 40 و (تاريخ الفلسفة في الإسلام) لدى، ترجمة محمد عبد الهادي أبو ريده، ومطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشز، 1954 م، ص: 45

123. القفطي،انباه الرواة(بيروت:مؤسسة الكتب الثقافة،مصر:دار الفكر جـ 1 ص: 346-347)1406ه-1986م

صلّة بالرياضة العقلية كالشطرنج. وقد زاد فيه زيادة لعب الناس فيها ومن[124]. وقيل فى سبب وفاته أنه كان يفكر فى نوع من الحساب تمضي به الجارية إلى البائع فلا يستطيع ظلمها، وإنه ذهب إلى المسجد وهو يفكر فصدمته سارية طرحته أرضا زتسببت فى موته[125].

أحاط الخليل بكل هذه العلوم التي تحدثنا عنها، ولكن أهم ما عرفه منها اللغة والموسيقى والمنطق والحساب.

أما اللغة فقد يسّرت له أن يهتدى إلى أصول النحو وفروعه المختلفة، وأن يتمرّس بالأساليب العربية وأوجه استعمالاتها، وأن يلم بأبنية العربية وأسرارها التركيبية، وأن يعرف الكثير عن حروفها وأحوالها المتعددة. وهي التي أمدّته بسيول من ألفاظها ومفرداتها كانت عونا له على تنفيذ فكرة معجمه، وهي التى وضعت بين يديه مادة الشعر الهائلة، فأعانته على معرفة أوزانه المستعملة.

وأما الموسيقى، فقد أرهفت حسّه اللغوي، فمضى يرصد موسيقى الشعر والألفاظ والحروف، ووصل إلى نتائج هامة كان ثمرتها علم العروض والصرف والأصوات.

وأما المنطق، فقد ساعده على أن يحلّ كل ما ما تناوله بيده علما تاما، وأن يجعل النهج الذى اتبعه فيه نسيخ وحده، وأن يغوص إلى قوانينه العامة ومسائله الكبرى.

وأم الحساب، فقد جعل عقل الخليل رياضيا، وأصعفه على حصر أوزان الشعر كلها فى العروض، ووضع فكرة كتاب العين التى يتأتّى بها حصر ألفاظ لغة بأكملها[126].

ج.منهج الخليل:

كان الخليل بن أحمد فى تأصيله لقواعد النحو وإقامة بنيانه اعتمد عىي ثلاثة مناهج وهى السماع والتعليل والقياس.والسماع عند الخليل إنما يعنى نبعين كبيرين.أحدهما نبع النقل عن القراء للذكر الحكيم. وكان هو نفسه من قرائه وحملته. وثانيهما الأخذ من أفواه العرب الحلص الذين يوثق بفصاحتهم. أما المنهج التعليلى فيظهر بشكل واضح عند الخليل بن أحمد. وكان يسند دائما ما يستنبطه من القواعد والأحكام بالعلل التى تصور دقته فى فقه الأسرار اللغوية والتركيبية التي استقرت فى دخائل العرب من قديم.وكان الخليل يبنى القياس على الكثرة المطردة من كلام العرب، مع نصه دائما على ما يخالفه ومحاولته فى أكثر الاحيان أن يجد له

---

[124]. ابن نباته،شرح العيون(القاهرة: مطبعة الموصوعة، ص: 185)1321ه

[125]. القفطي،انباه الرواة(بيروت:مؤسسة الكتب الثقافة،مصر:دار الفكر جـ 1 ص: 346)1406ه-1986م

[126]. (التنبيه على حدوس التصحيف) ص: 126

تأويلا. وعلى هذا النحو كنا يسجل القياس والشاذ عليه محاولا دائما أن يجد مخرجا بما شذ على الأقيسة، بل كثيرا ما كان يستمد من ذهنه الخصب قياسه.

وامتاز منهج الخليل النحوى بكثرة الأقيسة والجنوح لها فى الاستنباط وتفسير الظواهر ورفضها. ولقياس الخليل نفسه خصائص وأصبح قياس الخليل إمتاز عن قياس غيره، منها النحو يجمع بين المتباعدات فى الظاهر، ولكنه يحملها على أحكام تجمع بينها وتظهرها متقاربات. غير أن قياس الخليل تأثر بقياس أبى حنيفة[127] وكان مجمل قياس الخليل أنه يقوم على ملاحظة السماع المتشابهات فى ظواهر اللغة واستنباط أحكام المقيس من المقيس عليه.

هكذا من كل ما قدمنا يظهر أن الخليل بن أحمد يعدّ بحق واضع النحو العربى فى صورته النهاية سواء من حيث عوامله ومعمولاته الظاهرة والقدرة أو من حيث ما يجرى من شواهد ومن علل واقيسة. مهما كان كذلك فلم يترك الخليل كتابا فى النحو أو الصرف أو تركهما لنا ولكنهما لم يصلا إلينا، إلا أن سيبويه تلميذه قد سجل أراءه عنهما لإي كتابه. وبعبارة آخرى أن الروايات عن المواد النحوية والصرفية للحليل معظمها وردت فى كتاب سيبويه.

د.آثار الخليل:

ذكرت المصادر[128] التى ترجمت للخليل أنه صنّف عددا من الكتب، هي:

1. كتابا (العين) المشهور. وقد لاحظ الأقدمون على هذا الكتاب عدة ملاحظاة جعلتهم يشكّون فى نسبته كله إلى الخليل. ومن هذه الملاحظات ما يتصل بزمن ظهوره وبعض أسانيده، ومنها ما يتصل أولهما بمادته نفسها، وقد انحصرت وجهات نظرهم ما بين أمرين، أولهما-أن يكون الخليل قد ألف القسم الأول منه، وترك لبعض تلاميذه أن يكملوه، أو أنه مات ولم يكمله، فأكمله هؤلاء وغيرهم من العلماء. وثانيهما-أن يكون قد وضع فكرته، ورسمه ولم يحشه، وترك لتلاميذه التطبيق[129] . وتردد إثم الليث بن المظفر بين ألمع تلاميذه الذين ينسب إليهم تكملته أو تنفيذ فكرته. وسواء أوضعه الخليل بنفسه أم وضع فكرة التأسيس ورسم هيكله فقطــ، فإن طريقة تأليفه أليق بعقل الخليل وأقرب إليه.

---

[127]. الحلوان، المفصل في تاريخ النحو... الجزء الأول 285-286

128. ينظر-مثلا- (الفهرست) ص: 65، و (معجم الأدباء) ليقوت الحموي، كبعة دار المأمون (الأخيرة) جـ 1 ص: 74-75، و (انباه الرواة) جـ 1 ص: 346، و (وفيات الأعيان) جـ 2 ص: 17، و (بغية الوعاة) ص: 245

[129]. ينظر تفصيل مشكلة كتاب العينفي (المزهرللسيوطي.) ص: 76-92 ط4-1958م

وقد بنى الخليل فكرته على تقليب كل الصيغ الأصلية، والتمييز بين ما استعملته العرب وما لم تستعمله. وتأتّى له بذلك حصر جميع الكلمات التى يمكن أن تقع فى العربية. وطريقته هذه قريبة من طريقته التي استخدمها فى العروض، متأثرا بنظرية التباديل والتوفيق الرياضية. ورتّب الكلمات داخل المعجم على مخارج الحروف، بادئا بحرف العين الذى سمّي به. وقد ذهب بعض الباحثين[130] إلى أن الخليل قد تأثر فى صنيعه هذا باللغة السنسكريتية ونظامها الصوتى المتبع، وذهب غيرهم[131] إلى أنه يتضح في هذا القاموس تأثير اليونان فى علوم العرب. وكلا الأمريين كائن ومعقول، وإن لم يكن لدينا من الأدلة القاطعة ما ينفى أحدهما أو يثبته.

2. كتاب (النغم) وهو يؤكد معرفة الخليل بعلم الموسيقى معرفة تامة. وقد احتداه فيه من جاء بعده، فروى أنه (لما صنع إسحاق بن إبراهم كتابه فى النغم واللحون، عرضه على إبراهيم المهدى، فقال: أحسنت يا أبا محمد، وكثيرا ما تحسن. فقال إسحق: بل أحسن الخليل لأنه جعل السبيلإلى الإحسان)[132]
3. كتاب (الإيقاع). وهو -كسابقة- من ثمرة ثقافة الخليل الموسيقية.
4. كتاب (العروض). ويبذو أنه ضمّنه ما توصل إليه فى علم العروض.
5. كتاب (النقط والشكل). وقد ذكر أن الخليل هو أول من صنّف النقط، ورسمه فى كتاب، وذكر علله.وأن جماعة من النحويين والمقرئين الذين صنفوا في النقط بعده قد سلكوا طريقه واتبعوا سنته[133]. ويعتقد أنه ذكر فيه ما توصل إليه فى باب النقط والشكل من ابتكارات لم يسبق إليها، وهي ابتداعه الشكل المعروف، وقد أخذه من صور الحروف، فالظمة مبطوحة فوقه. وابتدع الخليل أيضا علامات الشكل المعروفة الأخرى وهي علامات: الهمز والتشديد والروم والإشمام[134]. وقد خدم الخليل

130. محمد السعران ،علم اللغة: مقدمة للقارئ العربي(مصر: ط دار المعارف،، ص: 95)1962م وشوقي ضيف،المدارس النحوية(مصر:دار المعارف ص: 32)1968م

131. ف. بارتولد،(تاريخ الحضارة الإسلامية) ترجمة حمزة ظاهر(مصر: دار المعاريف، ص: 73)1966م. وقال كارل بركلمان في كتابه (تاريخ الأدب العربي) ترجمة عبد الحليم النجار(مصر: دار المعارف، جـ 2 ص: 124)1961م (هامش): ربما أمكن ظهور بعض العلاقات بين علم الأصوات العربية، وفن الموسيقى اليونانية.

132. الزبيدي،طبقات النحويين واللغويين(مصر:دار المعارف، ص: 46)1954م

133. أبو عمرو الداني،المحكم في نقط المصاحف، تحقيق عزة حسن، (دمشق:مطبعة دار الكنب ، ص: 9)1960م

134. أبو عمرو الداني،المحكم في نقط المصاحف(دمسق:مطبعة دار الكتب، ص: 6-7)1960م

بابتكاراته هذه اللغة العربية والقرآن خدمة كبرى، وخلص الناس من الطريقة العسيرة التي كانت متّبعة وهي طريقة النقط.

6. كتاب (الشواهد). وفي ظننا أنه كان يحتوي على بعض الشواهد التي سمعها من الأعراب.
7. كتاب (في العوامل). ويظهر من عنوانه أنه مختص بالعوامل النحوية. ولكن القفطي شكّ في نسبته إليه وصرّح بأنه منحول عليه[135].
8. كتاب (الجمل). وأول ما يتبادر إلى الذهن أنه مألّف في أحوال الجملة العربية.
9. كتاب (فائت العين). ويتبين من عنوان أنه إستدراك لما فاته في العين.
10. كتاب (المعمى). ويظهر من اسمه أنه مؤلف في الألغاز. قال ابن نباتة[136]: (عمي الأمر إذا التبس. وعمّيت معنى البيت من الشعر إذا أخفيته، ومنه المعمّى اللغز. والمراد هنا حروف يصطلح عليها الكاتب مع نفسه ويكاتب بها، ويسمى الأن المترجم. ولها طرائق مذكورة تعين على استخراجها. وأوّل من وضعها الخليل)

هذه هي الكتب التي ذكرتها المصادر له. ومعظمها كتب طريفة ألفّت في مواضيع مبتكرة. ولكنا لو أنعمنا النظر جيدا.، لوجدنا أن بعضها يشكّ في نسبتها إليه، مثل كتاب (العوامل) الذي صرح القفطي بأنه منحول عليه، وكتاب (فائت العين)، فإن كتاب العين نفسه موضع أخذ وردّ، و لم يتفق العلماء على أنه وضعه كله أو أكمله، فكيف بالقول أنه اكمله ثمّ استدرك ما فاته منه! ويلحق بالكتابين السابقين كتاب (الجمل)، فلم يعرف عن الخليل أنه ألف كتابا خاصا بالنحو[137]. ولو كان هذا الكتاب من عمل الخليل، لأشار إليه سيبوي_____ه والنحاة من بعده، وحفظت-على الأقل-أجزاء منه في بطون الكتب الأخرى[138].

ومهما يكن الصحيح في أمر كتب الخليل هذه، فإنه لم يتسنّ لنا رأيتها، لأنها صاعت من يد الزمن، و لم يبق منها سوى كتاب (العين)[139]. وقد نشر أنستاس الرملي قسما

---

135. القفطي،انباه الرواة(مصر:دار الكتب جـ 1 ص: 346)دون سنة
136. إبن نباتة،سرح العيون(القاهرة:ط الموسوعات، ص: 174)1321ه
137. السيوطي،المزهر(ت محمد أحمد جاد المولي،الطبعة الرابعة، ص: 80-81)1958م
138. قد يكون الضبط الصحيح لعنوان هذا الكتاب غير الضبط الذي أخذنا به، فلا نستطيع عندئذ أن تتكهنا بمضمونه، أو نحكم بصحة نسبته إليه أو بعدهما.
139. والغريب أن نجد اليوم في أماكن متفرقة من العالم كتابا أو قطعا من كتب بأسماء مختلفة تنسب إلى الخليل، لم نر المصادر القديمة ذكرتها أو أشارت إلى شيء منها.

منه فى أربع وأربعين وماءة صفحة، ببغداد عام أربعة عشر وتسعماءة وألف. وأعاد عبد الله درويش نشر قسم منه بعد تحقيقه فى حوالى سبعين وثلاثماءة شفحة، ببغداد عام سبعة وستين وتسعماءة وألف. وهو يشمل ما نشره الكرملى سابقا.

2.الإمام سيبويه

أ. ترجمة حياته،ومنهجه استقراء وقياسا،وأراءه النحوية

هو عمرو بن عثمان بن قنبر، اشتهر بلقب سيبويه وهو لقب يدل عل أصله الفارس، ويكنى أبا بشر، وأبا الحسن وأبا عثمان وأثبتها أبو بشر، من مولى بني الحارث بن كعب بن عمرو بن علة بن جلد بن ملك بن أدد، وقيل:مولى أل الربيع من زياد الحارثى [140] وأما لقبه منذ قديم الزمان، لم يلقب به أحد قبله. فهو"سيبويه"

وقد ألقى العلماء الأقدمون ضوءا على هذا اللقب الفارسى، فذكروا أنه مركب من"سيب" و"ويه" بمعنى الرئحة. وبعض العلماء الأقدمون وهو عبد الله بن طاهر العسكرى يزعم أن الإسم من "سى" الفارسية، ومعناه الثلاثون، و"بوى" أو"بويه" بمعنى الرئحة, فهذا هو سيبويه بمعنى ذوى الثلاثين الرئحة[141] وبعضهم زعموا أن حد"يه" كانتا تشابهان التفاح فى النضارة والجمال[142].

ولد سيبويه بقرية من قرى شيراز تسمى البيضاء[143] ويقال أنها أكبر مدينة فى كورة اصطخر بفارس. ويقال أيضا أن مولده ومسقط رأسه كان بالأهواز[144] . وبعبارة أخرى، اجمع المؤرخون على أن مولد سيبويه فى الناحية "بيضاء" فى ولاية فارس. تقع هذه الناحية فى شمال شيراز على بعد 42 كيلومترا وسمى هذه الناحية الأن ب"تل بيضاء" وهذه القرية المركزية كانت إيرانية إذا كان سيبويه إيرانيا نسبا وعنصرا. كان جده الأعلى إسمبه "قنب" وظاهر أن هذه الكلمة إيرانية. وفى قرية بيضاء ولد كثير من العلماء والشخصيات المعروفة من المتقدمين مثل حسين بن منصور الحلاج وهو من كبار العلماء التصوف والعرفان [145] تلقن سيبويه

---

[140]. صلاح رواي , النحو العربي نسعته تطوره مداره تجاله (القاهرة:دار الغيب), للطباعة والنشر والتوزيع ص:194

[141]. محمد هارون, عبد السلام, الكتاب كتاب سيوىه أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (القاهرة:دار القلم 1385ه-1966م) ج1ص3

[142]. مجلة مجمع اللغة العربية, على أصغر أحكمت وغيره, ج 24 (القاهرة: الهيئة شؤون المطابع الأمرية,1974)ص:96

[143]. شوق ضيف, المدارس النحوية(بيروت:مطبعة دار الفكر ص:57)1968م

[144].شوق ضيف،المدارس النحوية،ت محمد هارون(بيروت:مطبعة دار الفكر ص: 7)1968م

[145]. مجلة مجمع اللغة العربية احمد مكي الأنصاري ص:98

دروسه الأولى فى شيراز وطمحت نفسه للإستزادة من الثقافة الدينية[146] ثم هاجر مع أسرته أو أهله إلى البصرة فنشاء بها، وكانت الهجرة إلى الحواضر الإسلامية فاشية متواصلة فى ذلك الزمان، وعما أقرب المهاجر إلى أهل فارس فهي مدن العراق الثلاث: بالبصرة والكوفة وبغداد. فكان إختيار أسرته للبصرة يخلون بها, ويحيا فتاهم فى أرجاءها، يطلب العلم، فيبنى لنفسه مجدا خالدا[147].

وطفق سيبويه يطلب العلم بها، فكان الحديث والفقه من أول ما يدرس العلماء، فأعجبه بذلك وصاحب الفقهاء وأهل الحديث، وكان يستملى الحديث على حماد بن سلمة قال القفطى : "وكان شديد الأخذ". فبينما هو يستملى قول النبى صلى الله عليه وسلم:"ليس من أصحب إلا من لو شئت لأخذت عليه ليس أبا الدرداء"[148] فظن سيبويه أن شيخه قد أخطأ فى عبارة "ليس أبا الدرداء" فقام من مكانه ليصححها له، وقال سيبويه"ليس أبو الدرداء لأنه إعتقد أن كلمة "أبا" إسم ليس التى ترفع المبتداء وتنصب الخبر فقال حماد: لحنت و أخطأت يا سيبويه ليس هذا حيث ذهبت, وإنما" ليس ههنا استثناء. فقال سيبويه: لاجرم، سأطلب علما لا تلحنن فيه[149] فلزم الخليل فبرع.

وكان الحديث أول العلم تعلمه سيبويه ويستملى الحديث على حماد بن سلمة ابن دينار المحدث المشهور حينئذ إضافة إلى ذلك تعلم سيبويه علم نحوى بجد كثير بعد نظر قراءة الحديث المتنوعة.

وصمم على التزود بشؤون اللغة والنحو، ولزم حلقات النحويين واللغويين وفى مقدمتهم عيسى بن عمرو والأخفش الكبير ويونس ابن حبيب، واختص بالخليل بن أحمد، وأخذ منه كلما عنده فى الدراسات النحوية والصرفية, مستمليا ومداونا ويكون الطريقتين فى الدراسات وهي طريقة الإستملاء العادية وطريقة السؤال والإستفسار، مع كتابة كل إجابة وكل رأي يدلى به وكل شاهد يرويه عن العرب، وبذلك احتفظ بكل نظراته النحوية والصرفية.

---

[146]. شوق ضيف, المدارس النحوية،ت محمد هارون(بيروت:مطبعة دار الفكر ص:57)1968م

[147].شوق ضيف،الدارس النحوية،محمد هارون(بيروت:مطبعة دار الفكر ص7)1968م

[148]. شوق ضيف،المدارس النحوية(بيروت:مطبعة دار الفكر ص:7)1968م

[149]. http://yabeyrouth.com/pages/index 77. htm

ولا يكفي بذلك، رحل إلى البادية فى طلب اللغة والسماع عن العرب ومشافتهم، غير أن ما يتردد فى كتابه، وكان رحلته مثل أستاذه الخليل. وليس له الفرض إلا ليوسع علومه، ورحل إلى ينابع اللغة والنحو يستمد منها مادة وعتادا فصيحا صحيحا بشارته فى النطق وهياته. حينما رحل إلى بغداد طامحا إلى الشهرة فى حاضرة الدولة، وحدث أن إلتقى بذلك سائى مقرئ الكوفة ومؤدب الأمين الرشيد[150]

ب.منهج سىىيبوى_________________ه

هوجذب اهتمامه منذ صغاره بحلاقة نحوية وهو يترح المعرفة فى شيراز، وأتى سيبوىه الى بلد البصرة بقوةالهمة والرغبة لزىادة معرفته فى مجال الثقافة الاسلامية ويلتقى فى البصرة بجماعة أهل الفقه والحديث. وهو يحضر دراسة الشيخ حماد ابن دينار المشهور فى ذلك العصر بأهل الحديث، ولكن يدل أستاذه الدرس إلى النحو لضعف قرأءته الحديث ويقال : لو أنى مثلك سأطلب علما.[151]

ومن بعض رواية النحو بعد رسوخته فى مسألة العامل. وقال: العامل فى اللغة هي المؤثر، وفى اصطلاح النحاة هي ما أوجب كون أخر الكلمة على وجه مخصوص من الإعراب.

المعمول فى اللغة هي المتأثر، واصطلاحا هو ما وجد فيه أثر العامل لفظا أو تقديرا أو محلا.[152]

فالعامل فى اللفظ أحد الفعلين وأما فى المعنى فقد يعلم أن الأول قد وقع إلا أنه لايعمل في اسم واحد رفع و نصب، وإنما كان الذى يليه أول لقرب جواره، ويقول فى باب الإمالة: (هذا باب ما تمال فيه الألفات، فالألف تمال إذا كان بعدها حرف مكسر، وذلك قولك "عابد وعالم ومساجد ومفاتيح وعذافر وهابيل.[153] وعنده أن العامل فى الجر المضاف أو حرف الجر الذي يصل به الفعل أو يصله إليه. أما العامل في المبتدأ، فالمبتدأ وهو العامل المعنوى الوحيد الذي أثبته سيبوىه[154]. ويكثر حذف المبتدأ العامل فى الخبر ما دامت هناك قرينة تدل عليه.

---

[150]. شوق ضيف، المدارس النحوية(بيروت:مطبعة دار الفكر ص: 58-59)1968م

[151] http;//demis 19 blog spot.com/2007/11/pleidai-untuk-muslim-minoritas.html

[152]. الهاشيمى،أحمد،القواعد الأساسية للغة العربية(بيروت:دار الفكر العلمية ص:74) 1354ه

[153]. شوقى ضيف،المدارس النحوية(مصر:دار المعارف، ص:63)ط2دون سنة

[154]. شوقي ضيف،المدارس النحوية(مصر:دار المعارف، ص:68)ط2دون سنة

وهو يضع فى تضاعيف كلامه قاعدة عامة لعمل العوامل مضمرة، إذ يقول: "وإذا عملت العرب شيئا مضمرا لم يخرج عن عمله مظهرا فى الجر والنصب والرفع".[155]

فالعامل هو الذى يحدث الإعراب وعلامته من الرفع والنصب والجر والسكون. وقد مضى يوزع الأبواب باعتبار العوامل، وبدأ بالفعل، وزرع الأبواب الأولى على لزومه وتعديه إلى مفعول واحد ومفعلين وثلاثة مفاعيل. ثم تحدث عما يعمل عمله من أسماء الفاعل والمفعول والمصادر ونراه فى الفعل المتعدى إلى مفعول واحد لايقف عند المفعول به، بل يضيف إلى ذلك عمله فى المصادر أو بعبارة أخرى المفاعيل المطلقة مثل ذهب الذهاب الشديد وقعد القرفصاء ورجع القهقرى، كما يضيف عمله فيه أو بعبارة أدق فى ظرف الزمان والمكان[156]. وهنا تصل نظرية الفعل العامل الذرة, إذا يرفض سيبويه مثل هذا التعبير، ويختم إعمال الفعل الثانى فى كلمة "المحمدون" لقربه، ويضمر الأول بحيث يقال: قاموا ومضى المحمدون. وكأنما العوامل النحوية تدخل فى المؤثرات الحقيقة، وهو بعد فى تصور حطر العامل النحوى[157]. العامل: ما يحدث الرفع، أو النصب، أو الجزم، أو الخفض، فيما يليه.[158]

العامل قسمان هو لفظي ومعنوى:العامل اللفظى هو ما ينطق به "حقيقة" كلفظ "ظهر" من نحو:ظهر الحق" أو حكما" كعامل الظرف والجر والمجرور من قولك: أخوك عندك. أو فى الدار (على تقدير موجود مثلا عندك أو فى الدار).

والعامل المعنوى هو مالايكون لسان فيه حظ[159]. وإنما هو معنى يعرف بالقلب[160]. وهو نوعان:

الأول-الإبتداء هو خلو الإسم من العوامل اللفظية للإسناد. نحو: العلم نافع: فالعلم المبتدأ الذي هو أمر(معنوى).

الثانى- التجرد هو تجريد الفعل المضارع عن الناصب والجازم. نحو: يسافر سعد: فيسافر فعل مضارع مرفوع لتجرده عن الناصب والجازم (والتجرد أمر معنوى أيضا)[161].

---

[155]. شوقي ضيف،المدارس النحوية(مصر:دار المعارف، ص 73)ط2دون سنة
[156]. شوقي ضيف،المدارس النحوية(مصر:دار المعارف، ص:65)ط2دون سنة
[157]. شوقي ضيف،المدارس النحوية(مصر:دار المعارف، ص:69)دون سنة
[158]. مصطف الغلاييين، جامع الدروس العربية (بيروت: المكتبة العصرية، ج. 3، ص: 274)1984م
[159]. الهاشمى أحمد،القواعد الاساسية للغة العربية(بيروت:دار الكتب العلمية، ص: 74)1354م
[160]. علي بن محمد بن على, كتاب التعريفات (دار الكتاب العربي, 740-816 ه)ص: 189.
[161] الهاشيمى أحمد،القواعد الاساسية للغة العربية(بيروت:دار الكتب العلمية، ص: 74-75)1354م

ثمانية المجارى يجمعهن فى اللفظ أربعة أضرب: فالنصب والفتح فى اللفظ ضرب واحد، والجر والكسر فيه ضرب واحد، وكذلك الرفع والضم، والجزم والوقف. هذا لافرق بين ما يدخله ضرب من هذه الأربعة لما يحدث فيه العامل وليس شيئ منها إلا وهو يزول عنه ما بين يبنى عليه الحرف بناء لا يزول عنه لغير شيء أحدث ذلك فيه من العوامل، التي لكل عامل منها ضرب من اللفظ فى الحرف، وذلك الحرف حرف الاعراب.[162]

أما العوامل فهي : الفعل وشبهه والادوات التي تنصب المضارع أو تجزمه، والأحرف التى تنصب المبتدأ وترفع الخبر، والاخرف التى ترفع المبتدأ وتنصب الخبر، وخروف الجر، والمضاف، والمبتدأ.[163]

وأنواع العوامل اللفظية كثيرة ،كالفعل وشبهه (من اسم الفعل واسم المفعول والصفة المشبهة والمصدر) وكذا المضاف: فانه يجر المضاف اليه، كذا المبتدأ فانه يرفع الخبر[164]

أما العوامل التى تدفع إلى وضع رسم علم النحو فهي وجود ارادة العلم أوالقاعدة الشاملة لفهم التعلم الدينى يحتويها القرآن والسنة.[165]

وعلى نحو ما اتسع سيبويه فى الحديث عن حذف العوامل على هدى ما قاله أستاذه الخليل فى ذلك اتسع فى الحديث عن حذف المعمولات، فمن ذلك الخبر بعد مرفوع لولا فى مثل " لولا عبد الله للقيتك "ويفهم من كلامه فيها أن جوابها أغنى عن الخبر. وكذلك الخبر بعد لولا فى مثل "ولو أنهم صبروا حتى تخرج اليهم لكان خيرا لهم" فقد جعل أن وما بعدها فى محل رفع باالابتداء, وقال االمبتداء هنا لايحتاج إلى خبر لاشتمال صلة لولا على المسند اليه والمسند.[166]

د.مساهمة الامام سيبويه:

كثير من العلماء والرواة والحافظ والعرب الخلص نزحوا إلى البصرة واتخذوها وطنا لهم، لسهولة الحياة فيها. وكان اللغويون يسمعون ويدونون، والنحويون يسمعون ما يؤيد قواعدهم، هذا من السهل على العلماء بالبصرة الوقوف على الشوا هد السليمة.

---

[162]. شوقي ضيف،المدارس النحوية،ت محمد هارون(مصر:مطبعة دار المعارف، ص: 13)1968م

[163]. مصطفى الغلاييني،جامع الدروس العربية(بيروت:المكتبة العصرية،ج3، ص: 274)1984م

[164]. الهاشمي أحمد،القواعد الأساسية للغة العربية(بيروت:دار الكتب العلمية ص: 74)1354م

[165]. Tem Penyusun, *Ensiklopedia Islam* (Jakarta: PT. Ictiar Baru Van Hoeve. 1993), Vol. IV, Hlm. 2-4

[166]. شوقى ضيف، المدارس النحوية(مطبعة دار المعارف، ص: 74)1968م

كان سيبويه هو أبو بشر عمرو بن قنبر فى الطبقة الرابعة من طبقات البصريين، فى حياته فى البيضاء (بلد بفارس) من سلالة فارسية، ونشاء بالبصرة، ورغب فى تعلم الحديث والفقه، إلى أن لحقه التأنيث ذات يوم بشأن حديث شريف من شيخه. فقال سيبويه : والله لأطلبن علما لا يلحنني معه احد، ثم مضى ولزم الخليل وغيره[167].

وانطلق سيبويه وقت كونه صبيا إلى البصرة التى نمط العلم فى ذلك البلد على الكوفة والبغداد. وفكرة النحوية له نضيجة تحت حضانة الخليل ابن أحمد الذى هو وضع أساس علم العروض والقافية.

دكتور شوقى ضيف فى كتابه يطالع جريطة لاصطلاح علم النحو بطريق خاص والعلم الجعرافى "المدرسة" فى البصرة مركز علم النحو يزحف إلى دور "لماذا يرفع الفاعل" أو "لماذا ينصب المفعول" بل "لماذا تركيب إن وأخواتها مع اسمها وخبرها يقاس بقياس التمثيل يقدم مفعول له على فاعله ويطلب الشوقى : أجوبت ذلك الأسئلة بالكتابة "أن سيبويه" لا يكتب شكل اللغة العربية فقط. وابتدئ سيبويـــــــــــــــه يحلل الشئ لا يزال يشبه تخمينا وترتيبا يمكن يستند إلى قياس التمثيل والتعليل وهو يكتب جميع شرحه فتصنيفه الكتاب الذى ليست له مقدمة ونتيجة.

تذكر الأخفش كما في معجم العباد أن سيبويه لما انتهي من تقرير أساس فى كتابه، سيبويه يظهر على "دائما" لأنه أعلم بذلك المسئلة مع أنني علمت بأنه أعلم مني ... "

ليس لسيبويه تلاميذ الا قليلا. وأنه توفى وقت شباب قبل أن يكمل تصنيفه هو كالبناءالذى قبل الفراغ من بناءه.[168]

وكانت مدرسة النحو البصرى انتشارها على يد سيبويه تعد كنحو تأسس قواعده على اللغة القرأنية خالصة. وهو الذى كتب فى ضبط الملكة الخالصة للعرب بالقوانين الحضرة المستقرأة يحذو حذوالعلماء الذيين عاشوا قبله، ثم أخذ عنه سيبويه فكملوا تفارعه وأبوابه واستكثروا من أدلته وشواهد به مثل ما قام به سيبويـــــــــــــــه من البصرة والكساء من الكوفة.[169]

---

[167]. محمد الطنطوي، نشأة النحو وتاريخ أشهر النحاة(بيروت:دارالمعارف، ص: 80)1119م

[168]. http: //demis 19. Blogspot.com/2007/11/pledai untuk minoritas html

[169] . Mustofa, *al Kisa'i Jawara Nahwu Aliran Kufah*..... Vol.I, No. 2, html. 1-2

وقد جره كما جر النحاة بعده إلى أن يرافضوا الصورة الاولى التى جاءت فعلا عن العرب، ويضعوا مكانها هذه الصورة المقترحة.[170]

كان النحو العربى يدور على نظرية العامل، وهذا ما يفرقه النحو الأجنبى: لذلك لا عجب لنا اذا نتداخل نظرية العاموامل فى أبواب الكتاب وفصوله النحوية, بل لا تغلو إذا قلنا أنها دائما الأساس الذى يبنى عليه حديثه فى مباحث النحو, وهي تلقانا منذ السطور الأولى فى الكتاب, فقد عقب على حديثه عن مجارى أواخر الكلم الثمانية أو بعبارة أخرى عن أنواع الأعراب والبناء للكلمات.[171]

والعوامل تعمل مذكورة ومحذوفة، ويكثر حذف الفعل وبقاء عمله، مما جعل سيبويه يفرد لذلك صفحا كثيرة، حاول فيها أن يستقصى صور حذفه استقصاء دقيقا، وهداه ذلك منذ بادئ الأمر إلي اكتشاف باب الأ شتغال الذى يشغل فيه الفعل أو شبهه بضمير أو بملابسه عن العمل فى الأسم مثل (زيدا كلمته وزيدا مررت به وزيدا قرأت كتابه). وقد جعل زيدا فى ذلك مفعولا به لفعل محذوف يفسره الفعل المذكور.[172] وقال أن الإشتغال يكون فى الأ فعال الناقصة على نحوما يكون فى الأفعال التامة مثل "أعبد الله كنت مثله، وزيدا لست مثله"، وذكر أن اسم الفاعل والمفعول وأسماء المبالغة تجرى فى هذا الباب مجرى الأفعال مثل "أزيدا أنت ضاربه" و"أزيدا أنت ضرابه"[173]

والعوامل عنده تعمل ظاهرة ومحذوفة، وكثيراما يحذف المبتداء العامل الخبر، طالبا لإيجاز. ويكثر سيبويه من توجيه الخليل لبعض العوامل المرفوعات على أن مبتدأها محذوف مثل مررت به المسكين ومثل انه المسكين أحمق أي هو المسكين أيضا. ومواضع حذف الفعل الناصب للمفعول كثيرة، منها ما يجوز فيه الحذف والاضمار لقيام القرينة. وقد يحذف وجوبا على نحوما هو معروف فى التحذير والاختصاص ويجعل من مواضع المدح كما في الاختصاص.وعلى نحوما تحذف العوامل تحذف المعمولات. فالخبر قد يحذف، ويكثر حذف المفعول به اذا قامت القارنة.[174]

ح.آراء سيبويه

---

[170]. شوقى ضيف، المدارس النحوية(مصر:مطبعة دار المعارف، ص: 66)1968م
[171]. شوقي صيف،المدارس النحوية(مصر:مطبعة دار المعارف، ص: 65)1968م
[172]. شوقي ضيف،المدارس النحوية(مصر:مطبعة دار المعارف، ص: 69)1968م
[173]. شوقي ضيف،المدارس النحوية(مصر:مطبعة دار المعارف، ص: 70)1968م
[174]. شوقي ضيف،المدارس النحوية(مصر:مطبعة دار المعارف، ص: 39-41)1968م

كان آراءه كثيرة جدا ولا يمكن أن يذكر جميعها هنا. بل يحتج إلى بحث خاص عن آراءه المتميزة، وذكر الباحث هنا بعضا منها راوية أي الرواية بالمعنى. ولذلك، لا تأخذ مدرسة البصرة الحديث المروى بالمعنى مصدرا في دراسة النحو إلا قليلا، لأنه ليس لسان الرسول صلى الله عليه وسلم بل لسان راويه، ولا سيما إذا كان الراوى غير عربى.

وأما بالنسبة لطريقة رواية الحديث نفسها، فوجدنا فيها يروى من الأحاديث فريقين: 1) فريقا غلب على ظنه أنها لفظ النبى صلى الله عليه وسلم فأجاز الاحتجاج بها، 2) وفريقا غلب على ظنه أنها مروية بالمعنى لا بلفظ النبى صلى الله عليه وسلم، وإذا لا يجيز الاحتجاج بها[175].

وعلقة نهي الاحتجاج بها في استنباط القواعد النحوية أنها وقع للحن كثيرا فيما زوى من الأحاديث المروية بالمعنى، لأن كثيرا من الرواة كانوا غير عرب بالطبع، ولا يعلم بصناعة النحو، فلا يستطيعون التعبير عن معنى الحديث بعبارات يصح تركيبها وتأتى على أسلوب النبى صلى الله عليه وسلم بل لا يعلمون أنهم وقعوا اللحن فى كلامهم ووقع فى روايتهم غير الفصيح من لسان العرب[176].

انطلاقا من هذه المشكلة حول رواية الحديث، قد ثبت سيبويه فكرة عدم الاستشهاد بالحديث النبوى، و لم يأخذ الحديث استشهاد فى استنباط القواعد النحوية إلا قليلا.

ومن هؤلاء النحاة البصريين الدين بذلوا جهودهم الجبارة فى السماع عن العرب عيسى بن عمر وأبو عمرو بن العلاء والخليل ابن أحمد الفراهيدى، ثم دونوا ما سمعوا عنهم أو حفظوه.

و.مؤلفات سيبويه

أشهر مؤلف سيبويه من مؤلفاته فى نحو الذى يتخذ العلماء القديمة والآن المرجع هو الذي يشتهر باالكتاب أو كتاب سيبويه. الكتاب هو الذي لما يضع سيبويه الموضوع وكلمة تصدر والاختتام،[177] لقصده أن يكرر القراءة. ولكن الله يقبض روحه قبله.[178]

---

[175]. الأفغاني، التاريخ في أصول النحو(بيروت:دار الفكر، ص: 47)1978م

[176]. شوقي ضيف، مدارس النحوية(مصر:مطبعة دار المعارف، ص: 77)1968م. وانظر أيضا: الأفغاني، في أصول النحو، ص: 48

[177]. شوقي ضيف،المدارس النحوية(مصر:مطبعة دار المعارف، ص: 23)1968م

[178] Http://demis 19.blogspot.com/2007/11pleidai untuk minoritas. html

كتاب سيبويه يشتهر بعد وفاة سيبويه وهو لا يقرآء ذلك الكتاب على أحد فى حياته بل لا يقرآء لأحد ذلك الكتاب الإمامة. قال أبو الحسن الأخفش، أن كتاب سيبويه جامع لأصول النحو وفروعه، وليس يسوى له فى جيده وصحيحه "استحسنه كل الاستحسان".[179]

وكتاب سيبويه هو أول الكتاب الذى يبحث قواعد النحو والصرف كاملا.[180] وله ثمانون بابا.[181]وتنقسم على قسمين: القسم الأول يبحث مسائل النحو بأنوع أصول:

1. أبو الحسن الأخفش، سعيج بن مسعجة، مولى بن مجاشع بن دارم أخذ عن شيوخ سيبويه، ولكنه لم يأخذ عن الخليل. ثم أخذ عن سيبويه مع أنه كان أسن منه. وكان، كما ذكروا، الطريق إلى كتاب سيبويه. وقد قرأ مسائل من الكتاب على سيبويه قال: "وكنت أسأل سيبويه عما أشكل على منه فإن تصعب على الشيء منه قرأته عليه". فهو بذلك يعد فى تلاميذه سيبويه. لكن مع ذلك يروى زبيدى أن الأخفش كان يقول: "كان سيبويه إذا وضع شيأ من كتابه عرضه على وهو يرى أنى أعلم منه-وكان أعلم منى-وأنا اليوم أعلم منه".

   وهذا النص يُنبئُنا عن تواضع سيبويه وحرصه على المشاورة فى العلم، ويدلنا كذلك أن الأخفش شهد مولد الكتاب ونشأته. وقد توفى أبو الحسن بعد سيبويه في سنة 207.
2. قطرب، أبو محمد بن المستنير البصرى. كان ملازما لسيبويه، وكان يدلج إليه فإذا خرج رآه على بابه، فقال: "ما أنت الإقتراب ليل". أيضا عن عيس ابن عمرو النحو، كما أخذ عن النظام مذهبه الاتزالى، وتوفى سنة 206.
3. الناشى، وجدته فى مراتب النحويين قال أبو الطيب: "وكان ممن أخذ عن سيبويه والأخفش، رجل يعرف بالناشى، ووضع كتابا فى النحو قبل أن يستتمها وتؤخذ عنه، فأخبرنا محمد بن يحيى قال: سمعت محمد بن يزيد يقول: لو خرج علم الناشى إلى الناس لما تقدمه أحد.[182]

---

[179]. محمد هارون، الكتاب كتاب سيبويه(مصر:دار القلم، ص: 25)1385ه-1966م

[180]. شوقي ضيف،المدارس النحوية(مصر:مطبعة دار المعارف، ص: 60)1968م

[181].Http://demis 19.blogspot.com/2007/11pleidai untuk minoritas. html

[182]. شوق ضيف،المدارس النحوية(مصر:مطبعة دار المعارف، ص: 15-16)1968م

ومن الراجع أن سيبويه كان يعرف الفارسية، أو يعلم طرفا منها على الأقل. ومع أن شيخه أبا زيد كان من أهل العدل والتشيع كان هو كما قال العباس بن الفرج الرياشى: (سنّيّا على السنة).[183]

أما أقرانه ممن أخذوا العلم على الخليل فهم ثلاثة:

1. أبو فيد مؤرج بن عمرو السدوس، كان قد ممن البادية ولا معرفة له بالقياس فى العربية قال: "أول ما تعلمت القياس فلا حلقة أبى زيد الأنصارى بالبصرة". وقد غلب عليه الشعر واللغة، توفى سنة 195.
2. على بن نصر بن على الجهضمي، قال الصفدى: كان من أصحاب الخليل فى العربية ورفقاء سيبويه. وقد أخطء القفطى حيث ذكر أن ولده نصر بن على هو صاحب الخليل. وقد غلب عليه الحديث. توفى على سنة 187.
3. أبو الحسن النضر بن شميل المزنى التميمى، أخذ عن الخليل والعرب ويقال إنه أقام باليادية أربعين سنة، وهو أول من أظهر السنة بمرو وخرسان. وقد غلبت عليه اللغة، وله فيها كتاب "الصفات". وله أيضا "المدخل إلى كتاب العين" و "غريب الحديث" و "الصادر". توفى سنة 203.

[183]. محمد هارون، الكتاب كتاب سيبويه(مصر:دار القلم ، ص: 7-14)1385ه-1966م